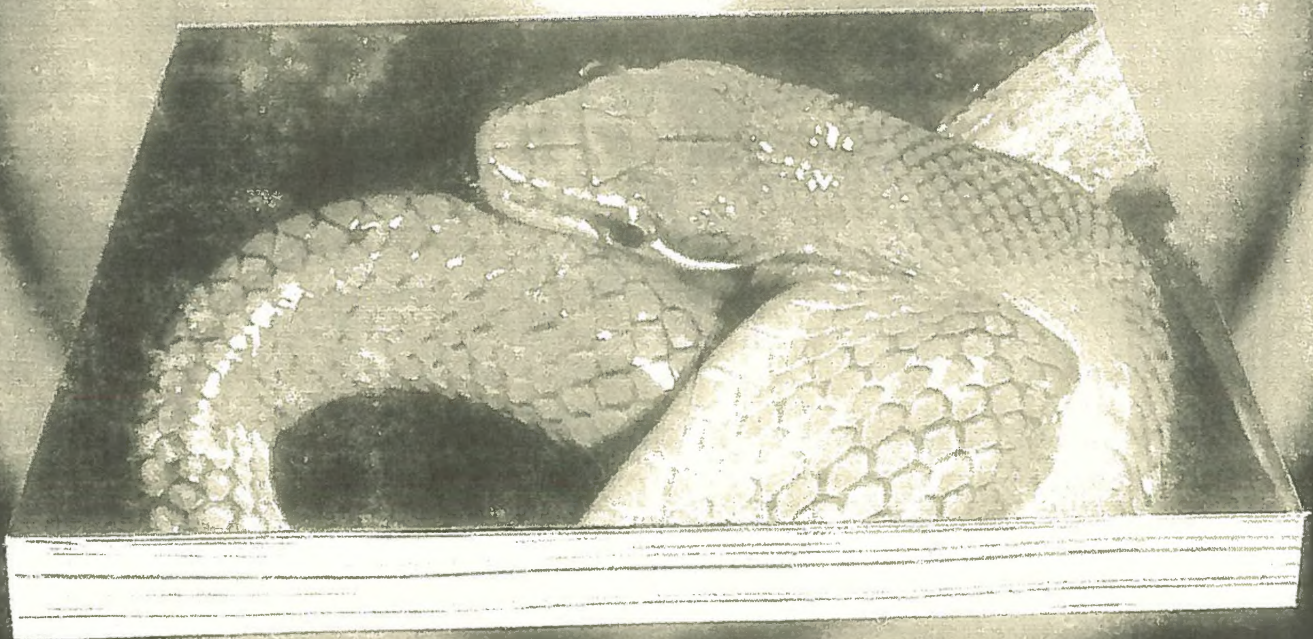


مدب لال كشك

الفضوة



هيكل يزقي التاريج
لحساب الملك حسين

المكتبة الثقافية

مقدمة :

سواء أكانت الولايات المتحدة قد دبرت وأعدت ونفذت حرب الخليج كما نعتقد وكما قلت في كتابي «الجنازة حارة» أو أنها — كما يقول عامة الكتاب — فوجئت بالغزو العراقي للكويت فرائتها فرصة سانحة هبطت عليها من السماء لتنفيذ أهدافها في العراق والمنطقة ، وطرح صيغتها للعالم الجديد الذي تهيمن عليه واشنطن.. فقد كان تعاون صدام حسين شرطاً ضرورياً لنجاح المخطط الأمريكي ، فلولوا احتلاله للكويت لما وجدت مشكلة الوجود الأمريكي أصلاً ، ولولا إصراره على رفض الانسحاب لما قامت الحرب ولا دمر العراق ولا احتل الخليج إلى آخر ما يندبه أنصار صدام حسين كاذبين ونحن أكثر إدراكاً منهم لهُول الكارثة التي أنزلها صدام بالمنطقة والأمة العربية .. ولقد اكتشفنا منذ اللحظات الأولى وبمجرد اتضاح نية الولايات المتحدة في المواجهة العسكرية مع صدام انه لا مخرج ولا انقاذ للعراق والمنطقة إلا

بالضغط على صدام حسين للانسحاب فوراً وبلا شروط قبل أن تكمل الولايات المتحدة استعداداتها العسكرية والسياسية والإعلامية .. ولكن لأسباب عديدة نعرف بعضها ويخفى علينا بعضها ، تشبث صدام بالبقاء في الكويت ورفض كل العروض التي قدمت له لإنقاذه وانقاذ العراق .. وبوسائل عديدة لا نعرف أيضاً كل تفاصيلها فقد أمكن إبقاء صدام في مصيدة الكويت حتى أنزلوا بالعراق ضربتهم ، بعض الذي نعرفه من هذه الأساليب ، هو إقناع صدام حسين بأن الرأي العام ، ونصف الدول العربية معه وإنه لن يواجه بموقف إجماعي من الجامعة العربية ، بل إن الجامعة العربية ممزقة وغير قادرة على اتخاذ قرار بالاجماع ضده ، ومن ثم فإن أمريكا لن تستطيع محاربته وما عليه إلا البقاء في الكويت حتى تفرض تسوية ما على حساب الكويت تحفظ بطولته على الصعيدين العراقي والعربي ، تسوية على طراز انتصار عبد الناصر في حرب ١٩٥٦ .. وقد نجح المخطط وبقي صدام يرفض الانسحاب إلى أن دمر العراق وقبل صاغراً الشروط التي لم تفرض ولا على مهرجات الهند في القرن الثامن عشر ..

كان الفهم السليم هو أنه منذ اتخذ الرئيس بوش قراره بتحريض الكويت ورفض أى تسوية إلا الانسحاب الكامل وإعادة الوضع لما كان عليه قبل الغزو العراقي ، وبعد أن نال هذا الموقف

مباركة الأمم المتحدة في أغلبية لم يسبق لها مثيل ، ثم الظروف العالمي الذي جعل الاتحاد السوفيتي أكثر تضامناً مع واشنطن من كندا .. في ظل هذه الظروف لم تكن هناك إمكانية لتسوية أو حل عربي ، لم يعد الخلاف عربياً ولا الحل عربياً .. أصبح النخرج الوحيد كما قلنا هو النزول عند إرادة المجتمع الدولي وحقائق الحياة ، والانسحاب فوراً وبلا مساومة أو ممانعة .. أما الجبهة الأخرى بما فيها من مغفلين مخلصين ومتأمرين عتاة فقد ظلوا يغررون بصدام وبعض العرب بحجة الحل العربي .. ومن هؤلاء كان محمد حسين هيكل والملك حسين الذي أدهش موقفهما المراقبين في حينه الذين مازالوا يتذكرون ، ما قاله هيكل في الملك حسين . ولم يكن تلاقح هيكل والملك حسين بالذي يدهشنا باعتبار وحدة المصدر .. فهذا هو الوضع الطبيعي ، وما كان السبب بينهما خلال الأربعين عاماً الماضية إلا تقسيم أدوار لجر أمة العرب إلى ما تحقق من دمار وبوار .. فهما يتنازعا إذا كان ذلك يجلب الخراب للعرب ، وهما يتفقان لتحقيق الدمار لنفس العرب ! وإنما الذي أدهش أنهما كانا على رأس معسكر الرفض والثوار المؤيد للعراق المعارض للدول الخليجية والولايات المتحدة ، على غير العادة ، وغير المتوقع على ضوء التاريخ والمعلومات .. وكنت قد ناقشت موقفهما وتصديت للرد على أقاويلهم ، كما كشفت الخطة الحقيقية التي فرضت على الملك

حسين بالذات أن يلعب الدور الذى رسم له فى حرب الخليج .
على أية حال لقد شرحنا وجهة نظرنا فى موقف الملك
حسين وتصدينا لدعاوى هيكمل خلال حرب الخليج .. كما
سيرى القارىء ، ولكن بعد انتهاء حرب الخليج وبعد صدور
دراستنا^(١) عنها بتسعة شهور أصدر هيكمل كتابه عن هذه الحرب
بالإنجليزية ، وهو الكتاب الذى قوبل فى البداية بإهمال تام من
الصحافة العالمية فلم تعلق عليه صحيفة واحدة ، وهو الكتاب
الذى كما قلنا ليس له مصادر بل مجموعة حكايات تفتقر للأمانة
والمراجع ، فلما أشرنا إلى إهمال الصحافة له يبدو أنه ألح فى
ضرورة الحديث عنه فكتبت الصنداي تايمس التى يملكها
اليهودى المعروف روبرت مردوخ وهو نفس المالك لدار النشر
التي طبعت كتاب هيكمل والذي يصير على وصفها بأنها أكبر دار
نشر فى العالم ويكرر ذلك أكثر من مرة مع أن ذلك غير صحيح
وقد اتصلنا بالدار وهي Harber Collins فنفت المتحدثة باسمها
هذا الشرف وقالت : « إذا أردت السلامة فقل إننا واحدة من
أكبر خمس دور نشر فى العالم » والذين لا يعرفون هيكمل ونفسيته
لا يفهمون هذا الحرص على الكذب .. ألا يكفى أنها دار نشر
كبرى ؟!

(١) « الجنازة حارة » يونيو ١٩٩١ .

كتبت الصنداي تايمس تعليقاً سخرت فيه من الكتاب
ومتنت أن يكون هيكمل قد بدأ يتعلم .. والكلمة بعنوان :
« أحلام اليقظة » بقلم المعلق السياسى دافيد برايس جونز وبدأها
بالإشارة المعروفة عن البوربون الذين لم ينسوا ولا تعلموا وهيكل
كيبوربونى عربى لم ينس ولكنه بدأ فى هذا الكتاب خطوة نحو
التعلم هى خطوة متعثرة ولكنها أفضل من بلاش .. ويستمر
الكاتب فى السخرية من منطق هيكمل .. إلى أن يقول : « وفى
عرضه للمناورات الدبلوماسية للحملة يقدم هيكمل اسكتشات
شيقة بل ومسلية عن زعماء العالم وهم يهرعون للتليفون يثنون
لبعضهم البعض مخاوفهم وحساباتهم وهو لا يقدم أى مصدر
لهذه الحادثات الخاصة التى لا يمكن التحقق من مصداقيته عنها ،
ولكن لا ضير فالأمر لا يخرج عن هذا الذى تخيله ! » وينهى
تعليقه بأن هيكمل الذى كان بوقاً لعبد الناصر بإعلانه — فى هذا
الكتاب — أن الديمقراطية هى الحل يكون قد خطا الخطوة الأولى
فى التعلم بصرف النظر عن كتابه^(١) .

فور صدور كتاب هيكمل بالإنجليزية ودراستنا له قلنا إنه
دعاية للملك حسين ومحاولة لتحميل مصر مسئولية حرب
الخليج .. ثم لما بدأ نشره مسلسلاً فى مضر أدر كنا على الفور أنه
سيمعد — كعادته فى التزوير والتلفيق والتبديل — إلى حذف

(١) صنداي تايمس ٩٢/٥/٢٤ .

أجزاء منه وهى الفاضحة التأيد للملك حسين والفاضحة الافتراء على مصر وتوقعنا أنه لن ينشرها في مصر وكتبنا مقالنا الأول بعنوان : « ما لن ينشر في مصر من كتاب هيكل .. » وذلك قبل أن يصدر كتابه بالعربية .. وتحقق ما قلناه حرفياً ! لا لأننا نشم على ظهر إيدينا ، بل بالأحرى لأننا نشم على ظهر يده هو .. نحن من مدرسة مخالفة تماماً لمدرسة هيكل منذ كان في خدمة الملك فاروق ، نحن من مدرسة تفهم هيكل وأساليب هيكل وما أنزله هيكل من تدمير بالفكر السياسى العربى بتزوير الوقائع والجرأة المستهترّة بالحقيقة ومزج الجهل بالكذب واختراع محادثة لم يشهدها ولا ينسبها لمصدر ! أو افتراء أكذوبة وتقديعها كحقيقة يرددها من خلفه صبية المدرسة التى حملت منهاجه وتدمر بوحشية الفكر العربى . وكانت لنا سابقة مع الأستاذ عندما أخرج كتابه بالإنجليزية قطع ذيل الأسد عن حرب ١٩٥٦ ثم أصدر طبعة عربية منه ، وبالتقارنة بين الكتابين هالنا ما أجراه من تزوير وتخوير وتعديل بين الطبعتين مما دعانا إلى تخصيص فصل فى كتابنا « ثورة يوليو الأمريكية »^(١) بعنوان : « التاريخ البلاستيك .. وهيكل » ولم يستطع أن يرد علينا بحرف ، وهكذا ما أن قرأنا الطبعة الإنجليزية من كتابه عن الخليج حتى عرفنا على الفور ما الذى سيحذفه هيكل من الطبعة المصرية . ويلاحظ

(١) تصدر الطبعة الثالثة عن مكتبة التراث الإسلامى .

القارئ أننا وإن كنا قد نقدنا الموقف السياسى لهيكل من بداية أزمة الخليج ، وفندنا ادعاءاته حول موقف مصر والملك حسين إلا أننا ركزنا فى مقالات الأخبار على نقطة التزوير بين الطبعتين ، فهو من حقه تماماً أن ينتقد موقف الحكومة المصرية ، ويكون الحكم على موقفه السياسى على ضوء الأدلة والوقائع .. ولنا حق رفض ما يقول أو قبوله ولكن ليس من حقه أن يخفى على القارئ المصرى وجهة نظره فى نقد حكومته .. لأن تعريف المصرى بموقف حكومته المنحرفة — من وجهة نظر الكاتب — هى مسئولية الكاتب الأولى .. فإن سب هذه الحكومة عند الإنجليز ، وحملها دم العراق ودم الحل العربى الزعوم ثم غطى موقفها عند العرب فهو — كما قلنا — يكون قد أدخل بشرف المواطنة وشرف المهنة .. ولما كنت الكاتب الوحيد حتى الآن الذى درس الطبعتين العربية والإنجليزية من كتاب المذكور فقد أصابت مقالاتنا مقتلاً من الأستاذ فهرع إلى بقايا تلاميذه والذين انتعشت آمالهم بقرب العودة مع زحف الناصريين وسيطرتهم على الإعلام سارع يرد علينا فى ٨ صفحات بالمصور متفادياً بغير براعة كل ما قلناه .. وكما قيل « جري الشر يا عوره » أو : « على نفسها جنت براقش » فقد استدعى ذلك أن نصنف فى الرد عليه ثلاث مقالات أعتقد أنها أجهزت عليه ولو إلى حين .

وربما كانت أهم نقطة في حديثه نجمة المصور هي اعترافه أخيراً بأنه أخطأ عندما تصور طوال الأزمة إمكانية وجود حل عرني .. وكما قلنا هذا هو جوهر القضية التي دار حولها الخلاف فإن اعترف الآن بأنه كان خطأً فقد سقط كل منطقته وسقط ميرر تأليف الكتاب أصلاً .. ونحن لا نصدق أنه أخطأ ولا نزعّم أننا عباقرة الزمان لأننا عرفنا ذلك وعمى هو .. لا .. لقد كان هيكمل وحسين وغيرهما يقومون بمهمة واضحة هي تضليل العراق الجماهير العربية بالإيهام بسرّاب الحل العرني .

ولم أكن أفكر أبداً في أن أصدر مقالاً في هذه في كتاب فقد اعتبرت أن ما قلته في : « الجنازة الحارة » يكفي لعشر سنوات مقبلة ، ولما رددت بعض الصحف المؤيدة لهيكمل إنني سأجمعها في كتاب بادرت بنفي ذلك ، ولكن بعد نشر المقالات اشتد إلحاح القراء بجمعها في كتاب ، وعزز ذلك رغبة كريمة من ناشري العزيز فتوكلت على الله وأضفت إليها ما كنت قد كتبتّه خلال أزمة الخليج عن الملك حسين ومحمد حسنين هيكمل فكان هذا الكتيب .

لندن — يونيو ١٩٩٢ ..

موقف الملك حسين

من بداية الأزمة كان لنا رأينا في تفسير موقف الملك حسين الذي مازلنا نفرد به ونصر عليه وهو كما جاء في الفصل التاسع من كتابنا : « الجنازة الحارة » مع بعض الاختصار تحت عنوان : « إذا كانت هناك جائزة أوسكار لمسرحية الخليج .. فهي من حق الملك حسين بدون منازع ! » .

قلنا : « الذين يأخذون بالنظرية التآمرية ، بمعنى أن كل ما جرى في الخليج كان معداً ومرسوماً بدقة من جانب الإدارة الأمريكية وقبل زمن من انفجار الخلاف العراقي / الكويتي ، هذا الانفجار الذي جاء على قدر في سيناريو جورج بوش . أقول أن أنصار السيناريو المعد يجدون ما يعزز ظنونهم في حالة الملك حسين ، الذي كان تحالفه مع صدام ظاهرة مخالفة للقوانين الطبيعية والسوابق والممارسات .. ثم قرار الملك المفاجيء بإجراء انتخابات حرة يسمح فيها بنجاح الإسلاميين ، بل ويضعهم في

الحكومة ، وأخيراً انخازته للصيف الثورى المعادى « للرجعية والامبريالية » وهو من هو .. الحسين بن .. حفيد عبد الله ! كل هذه المفاجآت جاءت فى موضعها تماماً من الخطة الأمريكية بحيث يستحيل على أشد العقول براءة تصور أنها وقعت مصادفة أو بنية صافية ..

كان لابد من خطة لمواجهة تحرك الفلسطينيين فى الأردن^(١) الأكثر عدداً من أى بلد آخر والأقدر على الإضرار بمصالح أمريكا .. فهم فى الأردن ما بين سوريا المطلوبة فى الحلف المواجه للعراق ، وبين العراق ميدان المعركة وبين إسرائيل قرعة عين أمريكا؟! .. ما الذى كان يمكن أن يحدث لو أن الملك حسين أخذ الموقف الذى تحتّمه ارتباطاته بالخبرات الأمريكية التى تدفع له مرتباً ثابتاً كما كشف « بوب وودوارد » فى كتابه : « الخفى » أو بحكم تاريخه فى العمالة والاتصال السرى بإسرائيل . لو اتخذ الملك حسين موقفه الطبيعى تحت المظلة الأمريكية ماذا كان يمكن أن يحدث ؟ ..

كان الفلسطينيون فى الأردن سيدخلون معركة دامية مع حكومة الملك حسين ، وكلنا يعرف أن إسرائيل لا تسمح بقلب الملك حسين ولا بقيام جمهورية فلسطينية / أردنية ثورية على

(١) من شاء تفاصيل أكثر فليرجع لكتابنا عن حزب الخليج .

حدودها الأكبر .. أى أنها ستدخل .. وما الذى يمنع الجيش العراقى فى هذه الحالة من أن يدخل لنجدة الثورة المؤيدة له والتى تقاتل فعلاً غزواً إسرائيلياً .. وهل يتصور أن تقاتل المملكة وسوريا ومصر مع إسرائيل ضد الفلسطينيين تمكيناً للغزو الإسرائيلى للأردن ؟! لقد كانت الدبلوماسية الأمريكية والإعلام الأمريكى لا ينامون الليل خوفاً على انفراط التحالف إذا ما ردت إسرائيل على صوراربخ صدام بضربة جوية أو صاروخية . أفكان سيقى التحالف وإسرائيل تقاتل الفلسطينيين فى شوارع عمان ؟! وهل يعقل أن ينحاز الملك حسين لأمريكا ويضرب العراق أو حتى يتحرش به ويسكت الفلسطينيون فى الأردن ؟! ..

وهكذا كانت القضية المطروحة على واضعى السيناريو هى : كيف يمكن شل الفلسطينيين فى الأردن ؟! ..

الجواب فى اعتقادى جاء من خبير فى السى آى إيه تذكر قصة الزمار والفيضان والأطفال فقال : دعوا الملك حسين يلبس ثياب الوطنية والثورية مع قليل من الاشتراكية ويזمر لهم وهم يرقصون على نغمات مزماره ويسيرون خلفه حتى يقذف بهم فى البحر ..

كان من الضروري أن يسلك الملك حسين الشعب

الفلسطيني من قرونة بقفاز الوطنية وتأييد صدام ، وبذلك يمنع أى دعم حقيقى له ، ونعتقد أن نوبة الديمقراطية والسماح للإسلاميين بالنجاح فى الانتخابات بل ودخول الحكومة ، كله كان فى إطار المخطط ليتولى الإسلاميون تهديئة وضبط الشارع إلى أن تنفذ الخطة ويذبح العراق ، ثم يلقي الجميع جزاءهم .

وقد كان ..

أصبح الملك حسين ثورياً وانضم إلى صدام وهاجم الحكم الرجعى !! ودعا إلى إعادة توزيع الثروات .. ومنع تصدير النفط العراق ووفر حدوداً آمنة هادئة مع إسرائيل وسوريا وشل نصف مليون مقاتل فلسطيني .. سمح لهم بسب أمريكا ومصر والسعودية ومنعوا من أن يطلقوا طلقة واحدة ضد إسرائيل أو الولايات المتحدة ! ..

والآن تتساءلون ماذا كسب العراق من موقف الملك حسين .. ألم يكن حسين العميل مع أمريكا وألف فلسطيني يخترقون الحدود إلى إسرائيل ، أفضل لصدام من حسين الثورى الذى يتحدث عن عدالة توزيع الثروات ويتصدى للمؤامرة الأمريكية ، ويجول دون عملية فلسطينية واحدة من حدوده ؟! . هل خسرت أمريكا بوطنية الحسين المفاجئة ؟! أم كانت لعبة فى منتهى الذكاء .. ساعد عليها بالطبع ضعف الوعي

السياسى فى القيادات الإسلامية والفلسطينية التى اكتفت من الملك بشقشقة اللسان ولم تكن فى جعبتها ولا فى مقدورها أن تطرح على القور برنامجاً عملياً يكشف تضليله وخيائنه .

فالملك حسين كان يقوم بدور مرسوم بدقة وبراعة وهو شل وتحييد الفلسطينيين داخل الأردن من خلال السماح لهم بالهتاف فقط ضد المؤامرة وتحت زعامته ! ومن خلال وضع الإسلاميين فى السلطة ليصدروا مثل هذا القرار : « أصدر مجلس النواب الأردني قراراً بإعلان أمريكا الشيطان الأكبر ABC » ومؤمن هذا الزمان يقاتل الشيطان بالهتافات ! كما عمل تحالفهم أو ذيلتهم للملك على إظهار جلالاته فى صورة التمرد على الأمريكان الذى يطوف الآفاق يسب دول التحالف ويدعو لصدام حسين ! ..

وهذا هو رأى الذى وصلنا إليه من اليوم الأول لأزمة الخليج واتضح ملاحم الدور الذى يلعبه الملك الشريف جداً . وفى ضوء هذا التفسير يجب أن نفهم كل ما جرى .. ونفهم قول وزير خارجية بريطانيا « إن استمرار الملك حسين يشكل مصلحة بريطانية »^(١) وإعلان شامير : نحن مهتمون بوجود أردن ثابت ومستقر .. وأكد أن الملك حسين يعرف أنه لا يتهدهده أى خطر

(١) الدليل لتلفراف ١/١٤ .

من إسرائيل^(١) .

وبدون الموقف التضليلي الذي مثله حسين .. ما كان
ليستمر أو يستقر ..

وما أن ضرب صدام حتى كان حسين يتخلى عن الدور ،
ويغسل وجهه من المكياج الثوري ، ويقول .. كلمنى عن بكره
وابعد عن امبارح . بل ينسى نفسه فيدى فرحته باليوم السعيد
الذى شهد هزيمة صدام فيدعو العرب إلى أن نورخ به مرحلة
جديدة في تاريخ العرب ! .. ونقلت عنه التامس أنه لا يحمل
حقداً ومستعد لفتح صفحة جديدة . « في هذا اليوم نرى بداية
مرحلة جديدة في تاريخ العرب . اليوم هو يوم مداواة الجروح
 وإعادة الوحدة العربية ووضع الأساس لمستقبل أفضل . هذا هو
اليوم الذى يجب أن نبعث ونطور النظام العربى الإقليمى » .
وعلقت الصحيفة أن الخطاب كان تحولاً واضحاً عن موقف
الأردن السابق وتناقضاً صارخاً لبيانه في ٦ فبراير الذى أغضب
دول التحالف عندما رفض ذكر اسم الكويت .. أما اليوم فقال
الملك : إخواننا الكويتيون يحتفلون بعودتهم إلى وطنهم واستعادة
استقلالهم ونحن نشاركهم سعادتهم . وفي هذه المرة لم يذكر الملك
صدام حسين على الإطلاق !^(٢) .

(١) الدبلى تلهراف ١٢/٦ .

(٢) ٩١/٣/٢ التامس .

هكذا يفعل أشرف لانجلى^(١) ..

ويدلو أن الخرج الأمريكى تعجل إسدال الستار وخلع
الممثلين لثيابهم وتصور أنه يمكن إعادة حسين لمكانه في الصف
العربى ، بمجرد انتهاء دوره ! ولم يحسب الأمريكان حساب
البراعة التى اندمج بها الشريف حسين في لعب دوره مما أثار
حفيظة الجماهير عليه في دول التحالف العربى بحيث أصبح
لا يمكن قبولها قلب جلده واستقباله بهذه السهولة وبهذه السرعة
التي تعجلها الأمريكان .. عندما أعلن أن « جولة بيكر في الشرق
الأوسط إنما تستهدف مصالحة حسين مع الولايات المتحدة
والبلاد العربية التى كانت في التحالف ، وقيل أن بيكر
وسكوكروفت مستشار الأمن القومى للرئيس بوش اجتماعاً هذا
الأسبوع مع عدنان أبو عوده مستشار الملك حسين وأن الرئيس
بوش كتب خطاباً للكونغرس يحنج على قرار المجلس بإلغاء المعونة
للأردن ثم عدل الكونغرس القرار ليجعل من حق الرئيس
استئناف الدعم إذا رأى أن الأردن تتعاون في مسيرة السلام^(٢) ..
وتجدد الحديث عن اقتراح قديم بوفد فلسطينى / أردنى^(٣) .

(١) لانجلى همى مقر المخابرات الأمريكية في ولاية فيرجينيا .

(٢) وقد تعاونت الأردن طبعاً وكان هذا من أهداف الدور الثورى الذى لعبه
حسين . أعنى إزاحة منظمة التحرير والعودة للحدوث باسم الفلسطينيين !

(٣) هيرالد تريبيون ١٩٩١/٣/٢٩ .

بعض ملاحظات على حديث الملك الشريف حسين

بداية .. لا يجوز التعليق على حديث لمن هو في مكانة الملك حسين — من الناحية البروتوكولية على الأقل — دون بعض الملاحظات حول شخصية المتحدث ..

أولها أن جلالته لا يصلح وسيطاً في قضية احتلال العراق للكویت، لأن أبسط متطلبات الوسيط أن يكون محايداً وجلالته كما يعرف العامة قبل الخاصة انحاز بشدة من اليوم الأول للغزاة العراقيين. بل إن الاتهامات تلاحقه بأنه كان ضالماً في خطة الغزو. ولكن جلالته يمكن قبوله — بكثير من التجاوز من جانب العرب — كوسيط بينهم وبين إسرائيل، ليس فقط باعتبار العلاقات الوثيقة التي تربطه شخصياً وعائلياً بزعماء دولة إسرائيل^(١) بل وأيضاً

(١) كتب إسرائيل اسمه مازرك هاتزر في النيويورك تايمز والهيرالد تريبيون معاً يقول انه قابل الملك حسين في تل أبيب في مارس ١٩٧٣ حيث كان جلالته في واحدة من زيارته السرية لدولة العدو، وكان هذه المرة بدعوة من جولدامائير، كما قال إن الموساد هي التي حذرت الملك من المؤامرات الفلسطينية خلفه في ابريل ١٩٥٧ ويوليو ١٩٥٨ ومارس ١٩٥٩ وأغسطس ١٩٦٠ يوليو ١٩٦٦ ابريل ١٩٦٧ .. (نيويورك تايمز ٩/١/٩١).

على أية حال فإن أغنى فرد في العالم لم يخرج بيده فاضية من أم المعارك فقد « كان عند صدام ٤٠٠ مليون دولار نقداً في بنوك الخليج وقد حولت إلى الأردن للاتفاق بواسطة الملك حسين »^(١) ومن شاء التفاصيل فليرجع لكتابنا المذكور .

(١) الأوبزرفر ١٢/٣٠ نقلاً عن الجنازة حارة .

باعتبار أن آخر تصريح لوزير خارجية إسرائيل قبل رحلة شامير لأوروبا وأمريكا هي إعلانه أن العرش الأردني والنظام الأردني ، تحت الحماية الإسرائيلية . وإذا كان هذا التصريح مجرد تحصيل حاصل بالنسبة لجلالته ومن ثم لم يجد حاجة للتعليق عليه فالغريب حقاً هو سكوت البرلمان الأردني على هذه الإهانة التي ما كان ليصبر عليها مهراجات الهند . مما يؤكد أن البرلمان الديموقراطي في التسعينيات لا يختلف كثيراً عن مجالس أو ديوانيات الأمير عبد الله والجنرال أبو حنيك في الثلاثينيات . من هنا فإن فرص جلالته مع الإسرائيليين أكبر .. هذا إذا قبلوا ترفيعه لمرتبة وسيط ! .

الملحوظة الثانية قبل الدخول في الحديث ، هي أن جلالته هو آخر من يحقق له التحدث عن القوات الأجنبية والوجود الأجنبي فهو أول من استدعى الأساطيل وجلب القوات الأجنبية لحمايته وأنزل الإنجليز في الأردن عام ١٩٥٨ لصد خطر الناصرية التي كان صدام حسين ومازال أحد تلاميذها النابغين ، وإن كانت الأهواء قد جمعتهم مع عدو عبد الناصر الأول . وكانت قوات المشركين في العقبة وعمان — كما لاحظ الأمير بندر بحق — أقرب للأراضي المقدسة من الأمريكان في حفر الباطن !

كما طلب جلالته بعد ١٢ سنة من الولايات المتحدة الحماية المباشرة وترجاها أن تحت إسرائيل على التدخل إلى جانبه ليتمكن

من سحق المقاومة الفلسطينية في أيلول الأسود .. فجلالته استدعى الإسرائيليين للتدخل في شئون البيت الأردني وضد مواطنيه . فلا يحق له أن يعظ اليوم عن التدخل في شئون البيت العربي بعدما تهدم هذا البيت بتحول الأخ إلى قاطع طريق .. اغتصب أخاه الأصغر ..

أما عن الخطاب الذي ألقاه في حفل تخرج الدورة ٣١ لكلية الأركان الملكية فهذه هي الملاحظات :

١ — يتحدث جلالته عن « غياب الديموقراطية في العالم العربي قيماً وسلوكاً ومؤسسات » وهو حديث خبير بلا شك ، فإلى ما قبل عام واحد كان حكم جلالته في مقدمة هذه النظم التي عادت الديموقراطية سلوكاً وممارسة وقيماً ، وكان له سجله الحافل باتهامات لجان العفو وحقوق الإنسان ومنظمات العدل .. إلخ ، واتسم تاريخ جلالته بالصراع الدموي المتصل بين شعبه وحكومات القصر ، التي لم تكن سوى العوبة بيد الملك والذين بيدهم أمر الملك . وبحكم هذا التاريخ وبحكم أنه ما من تطور أو تغيير قد وقع في العلاقات الاجتماعية أو السياسية في الأردن ، فإن الكثيرين ينظرون بعين الشك والريبة لهذا العارض الديموقراطي الذي اعتري النظام وجلالته على كبر ! ويعتقد الكثيرون أنه جزء من المؤامرة ، التي ينهانا جلالته عن التفكير فيها . وما حيلتنا وقد

أصبح اسم جلالتهم مقترناً في العقل الباطن للشعب العربي ..
« بالتآمر والمؤامرة » حتى أن ذكر أى اللفظين على لسان عربى
يستدعى الثانى على الفور ..

الكثيرون يعتقدون أن النوبة الديمقراطية الحالية في الأردن
هى جزء من الديكور الذى أعد لتمثيل المسرحية التى لا يعلم إلا
الله حدودها . والتى فور أن تبلغ أجلها سيستأنف جند البادية
التعبير عن إخلاصهم للعرش بذبح المواطنين ومطاردة الذين قبلوا
الاشتراك في التمثيلية ، مع علمهم أن كل مفاتيح السلطة الحقيقية
لا تزال بيد الملك والجموعة التى تنكل بالشعب منذ أن كان
العرش الأردنى .

على أية حال إن دليل الديمقراطية الذى لا يجحد هو وجود
الرأى الآخر، ولكن بما أنه لا يوجد مظهر واحد من مظاهر التعبير
عن رأى أردنى معارض للخط الذى اتخذته جلالته بالنسبة
للاحتلال العراقى للكويت ، فلا تفسير لذلك إلا أحد أمرين :
الأول — بافتراض أن رأى الحسين هو الصواب — وبالتالى
فالأردن هو الشعب المعصوم أو البلد المنتظر .. لأنه كله ، يبدو
وحضره وفلسطينيه وأردنية وأغنيائه وفقرائه كلهم قد أوتوا
الحكمة وفصل الخطاب ، عرفوا الحق في الغزو العراقى فاتبعوه
وكرهوا باطل استقلال الكويت فحاربوه .. الأردن بأكمله

يتفجر وطنية وثورية ووعياً حتى أنه لم يظهر صوت واحد
يعارض احتلال الكويت أو يعارض جلالته !!

أو أن ديمقراطية جلالته هى من النوع الذى يسمح بالحرية
في اتجاه واحد هو حرية تأييد الحكومة .

عندما يكون رئيس واحدة من أفقر دول العالم هو في نفس
الوقت أغنى رجل في العالم يغدو الحياء مطلوباً في الحديث عن
الديموقراطية التى أول مفاهيمها هى رقابة الشعب على مال
الشعب .

٢ — خلا خطاب جلالته تماماً من كلمة إدانة واحدة ضد الدولة
التي حشدت جيشها وانتهكت سيادة جارتها العربية وأزالت
كيانها وأعلنت ضمها بالقوة ، إنما تفضل جلالته فسمى
ما حدث : « بالخذور حيث تحول الخلاف بين دولتين شقيقتين
إلى تصدع في الجسم العربى ما لبث أن تحول إلى شق تحركت
القوى الأجنبية ذات المصالح بسرعة مذهلة للنفاذ منه والتدخل
المباشر في شئون بيتنا العربى » .

ويفسر جلالته هذا السكوت المريب المغيب بأنه فضل
« عدم التمحور » بينا الأطفال (الذين انتزعوا من الحاضنات في
مستشفيات الكويت)^(١) يعرفون أن جلالته تمحور بشدة !! هذا

(١) كانت هذه معلوماتنا وقت كتابة الرد أى قبل عامين .

يدين العدوان على الكويت ولا يدين العدوان الإسرائيلي .. كيف غاب عن منطق العرب وفهمهم هذه المغالطة .. كيف فات جلالته والذين يرددون أقواله أنه هو أيضاً يكيل بمكيالين فيدين العدوان الإسرائيلي ، ولو بالكلام ، ويغض الطرف بل يبارك العدوان العراقي ! ما الفرق بين موقفك وموقف مجلس الأمن ؟! ..

وكلنا يعرف أن المشكلة ليست في مجلس الأمن بل في إنحياز الولايات المتحدة لإسرائيل، وهذه قضية تعايش معها جلالته ولم تفسد وده مع الأمريكان قضية خلال أربعين سنة . وهذا الانحياز من الثوابت في القضية الفلسطينية، ولم نكن أبداً بحاجة لنذبح الكويت لإثباته . بالعكس كانت تحولات الموقف العالمي واختفاء الحرب الباردة وانتهاء الدور المزعوم لإسرائيل في حماية الشرق الأوسط من الشيوعية ، وكذلك نمو المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، وتخطيها قيادات الخارج — بل ولعلنا لا نخطيء القول إنه ما كان يمكن للانتفاضة أن توجد وأن تستمر أربع سنوات لولا زوال السيطرة الهاشمية حتى الشكلية على الشعب الفلسطيني، تلك السيطرة التي لا تزال تمنع إخوة أبناء الانتفاضة داخل الأردن من الانضمام للمجاهدين داخل إسرائيل .

كان الأمل أنه مع تزايد نفوذ مصر والسعودية في الولايات

إذا كان يمكن الحديث عن تمحور ، بين القاتل والقتيل ، بين الغازي والمغزو ، بين جيش الاحتلال والوطن المحتل . إن هذا الإجماع الذي لم يسبق له مثيل في الأمم المتحدة على إدانة العراق لا يمكن وصفه بالتمحور بل لأن ما فعله العراق هو الجريمة التي لا يستطيع حتى المنافق التهرب من استنكارها ولو من طرف لسانه ! فتراه يقول : نحن نستنكر الغزو ولكن مادام قد وقع فلننسه ولنحاول الاستفادة منه !! تماماً كما يختتم جلالته كلمته داعياً العرب للابتهاج بما حدث « فإن فرصة حل أزمة الخليج والمشكلة الفلسطينية لم تكن في أي وقت من الأوقات أفضل مما هي عليه الآن فلنغتنم هذه الفرصة حتى لا نحل علينا لعنة الله والتاريخ . وينصح الإخوة العرب بالتوقف عن التلاوم وعن الانشغال بتحديد من هو المذنب ومن هو البريء .. حتى نسترجع قدسنا » .

ألا لعنة الله والتاريخ على من أضاع قدسنا أكثر من مرة .. ألا لعنة الله والتاريخ على من لم يجد وسيلة يحرر بها قدسنا إلا المزيد من احتلال أرضنا وتشريد شعبنا ..

جلالته يرى أنه حادث سعيد وجلالته يرى إمكانية الحوار والتصالح دون أن نخدد من المعتدي ومن المعتدى عليه .. وفي موضع آخر يلوم مجلس الأمن لأنه يكيل بمكيالين لأن المجلس

المتحدة وبدء الحادثات الأمريكية الفلسطينية وتساعد عطف العالم على كفاح الفلسطينيين وبروز أوربا كقوة مؤثرة في السياسة العالمية، ومع التهاب الوضع بتدفق المهاجرين السوفييت .. كان الأمل أن يؤثر ذلك في اتجاه تغيير موقف الولايات المتحدة نحو موقف أكثر حياداً وتحريك مجلس الأمن في اتجاه إنصاف الشعب الفلسطيني حتى جاء الانتفاذ لإسرائيل بالغزو العراقي للكويت وأصبحت صفة العدوان تضم العرب والإسرائيليين معاً . ولم يعد من السهل إقناع العالم بأن إسرائيل هي مصدر التوتر في الشرق الأوسط .

(وأضيف الآن فقرة من كتابي «الجنازة حارة» قلت فيها : «وفي البداية كان الموقف المصري المؤيد للولايات المتحدة رصيداً أضيف لحساب القضية الفلسطينية، وأدى إلى هبوط أسهم تل أبيب في البورصة الأمريكية، وبدأ البعض يقول ما حاجتنا لإسرائيل إذا كانت كبرى الدول العربية معنا .. وراحت مصر تتحسس نبض الإدارة الأمريكية من أجل تشجيعها على تسوية مرضية للقضية الفلسطينية بعد الحرب .. » وقيل إن عصمت عبد المجيد طلب أن تضغط أمريكا على إسرائيل بعد الحرب للتنازل في سبيل تسوية فلسطينية إسرائيلية » وقالت إن مصر والدول العربية التي انضمت لأمريكا تتوقع أن يعطيهم اشتراكهم في التحالف ميزة عند انتهاء الحرب تمكنهم من مطالبة حكومة بوش بالضغط على

إسرائيل للقبول بمؤتمر سلام للشرق الأوسط أو خطة سلام أخرى، ولكن بعد أن سقطت صواريخ سكود على تل أبيب وحيفا وأرسلت القوات الأمريكية للدفاع عن إسرائيل لأول مرة لم يخف المسؤولون الإسرائيليون اعتقادهم بأن ضبط النفس الذي تخلوا به قلب المائدة على العرب فالرأي العام الأمريكي الآن أكثر اهتماماً بالخطر الذي يواجه إسرائيل والإدارة الأمريكية تحس بأنها مدينة لإسرائيل»^(١).

٣ — بينها جلالته إلى أننا أصبحنا في حالة تشبه إلى « حد بعيد في خطورتها ومضاعفاتها الحالة التي وجدت أمتنا فيها نفسها عام ١٩١٨ حينما اكتشفت أن مسارها كان قد رسمه لها سايكس بيكو ووعد بلفور ومن بعده بقرارات عصبة الأمم » .

ولاشك أن جلالته هو خير من يحدثنا عن تلك الأيام وتلك القرارات فهو يدين بعرشه لهذه المخططات والقرارات بالذات . ولكن جده^(٢) كان أكثر صراحة عندما اعترف بخطيئته وأنه هو الذي جلب وسهل على سايكس بيكو ولفور تقسيم الأمة العربية عندما قبل أن يحقق أطماعه في التوسع وفرض زعامته على العرب بالاتفاق مع الانجليز ، وتوقعه على كل هذا الذي يسبه حفيده

(١) لوس انجلوس تايمس ٩١/١/٣٠ .

(٢) هو الملك علي بن الشريف حسين .

اليوم . اعتذر الجدل بقوله : « كنا بدواً ، لا نفهم في السياسة ، وجاءوا لنا بأوراق وقالوا وقعوا فوقنا ... » ترى بماذا سيعتذر الحفيد عندما تتكشف أبعاد المؤامرة التي دبرت ضد الأمة العربية بالغزو العراقي ؟! من الذي تسبب في فتح بلادنا لجميع الدول ولشتى التدخلات .. من الذي قدمنا للعالم في صورة البدائيين المتوحشين المتنازعين الذين لا أمن ولا أمان حتى فيما بينهم .. من الذي طعن في شرعية الخريطة العربية ويدعو لتغييرها .. من الذي يبرر العدوان لتعديل الحدود والذي لا يعترف بالحدود القائمة ؟

العراق أعطى الشرعية لكل من يفرض مطالبه بالدبابات بعد أن عرّب العدوان .. قدم الوطن العربي على طبق لكل الذين يريدون إعادة رسم حدوده وتوزيع ثرواته ليفوزوا بنصيب الأسد . وللأسف فإن العرب في هذه القسمة ليسوا الأسد ولا الذئب بل الفريسة .. إن الذين صنعوا سايكس بيكو وقبلوا وعد بلفور قد فعلوها مرة ثانية !

ونحن لا نستطيع أن نفهم كيف يجمعون بين الدعوة « حل عربي » وبين شعار « مشاكل الشرق الأوسط لا تنجز » بمعنى دعوة إسرائيل وغيرها للاشتراك في حل النزاع العراقي — الكويتي . ألا يرى جلالته أنه وجماعة صدام قد تبنوا الشعار الذي رفعتة إسرائيل منذ سنوات عن شرق أوسط ليس عربياً

وانهم اعترفوا بإسرائيل كطرف في الصراع العربي / العربي ؟! ٤ — ويرسم لنا جلالته مبادئ حل النزاع فيعلمنا : « أول المبادئ هو إعطاء الوسيط العربي الفرصة ليجري الحوار مع الطرفين المتنازعين ويمهد لهما سبيل الجلوس معاً والتفاوض حول المشكلات التي تكمن وراء النزاع سعياً لحلها » .

لقد اشتهر جلالته فترة بالمهارة في التخلص من المواقف الحرجة ، والقدرة على الغوص في الأزمات والخروج سالماً .. وحده .. حتى لو دمرت العاصفة العالم من حوله ، ولكنه في هذه المرة يحاول ما يفوق القدرة على المغالطة .. وأى مغالطة أكبر مما يرتكبه الملك وجوقة الوسطاء المشبهين .. فنحن على كثرة ما نسمع عن الحوار والمفاوضة فإن جلالته لم يشر مرة واحدة لا هو ولا كل الوسطاء إلى حوار مع الطرف المعنى أساساً .. أى الكويت !!

إن ذلك يعني أن جلالته قد تعلم جيداً من أصدقائه اليهود الذين يجتمع بهم سراً حتى أصبح من العلامات المميزة في مذكرات كل مسئول يهودي يتقاعد أن يخصص فصلاً يحصى فيه عدد المرات التي اجتمع فيها سراً مع جلالته !

إسرائيل منذ عدوان ١٩٤٨ إلى اليوم تدعو إلى حوار مع جميع الأطراف إلا الفلسطينيين ! وتدعو لحوار بلا شروط مسبقة

وحشده الحشود على حدودها . فلينسحب من حدودها ويخرج من الكويت تنفيذاً للحق ولقرار إجماعي من الأمم المتحدة ، وتعود العلاقات إلى وضعها الطبيعي كما هي بين الأردن وسوريا مثلاً .. أما إذا كان للعراق بعض المطالب في الكويت ثمناً للانسحاب فليتفاوض عليها مع الكويت .. أم أن المطلوب هو أن تفعل السعودية مع حكومة الكويت في المنفى ما فعله اليابانيون مع الكوريين في الثلاثينيات .. تضرعهم على أرجلهم بالسياط حتى يوقعوا عقد إيجار الجزر ؟! لا .. ليس هذا أسلوب السعودية ولا هو من روح العصر وأساليب العالم الجديد الذي يدعونا إليه الحسين ، وجورباتشوف هو الذي قال في الأيام الأولى للغزو إن صدام لا يمكن أن يتعامل مع النظام العالمي الجديد بهذا الأسلوب .. فلماذا التوسط عند الرياض إلا لزرع الشبهات وإخفاء الجاني والضحية ؟!

سيقول المنافقون من الأعراب أن المفاوضات بين بغداد والسعودية هي لتنظيم الانسحاب المتزامن للقوات العراقية والأمريكية .. وهو قول يقوم على البهتان والمغالطة ..

أولاً : إذا كان العراق لا يريد أكثر من ضمان انسحاب القوات فليبدأ بانسحابه وعندها تبدو المواقف عارية وسرى من الذي يريد القوات الأجنبية على أرضه أو في المنطقة ..

إلا شرط استمرار احتلالها . وهو ما يدعو له اليوم الوسطاء من أمثال جلالته باسم الحل السلمي لقضية الكويت ! وإسرائيل تدعو — تماماً كما يفعل جلالته — لاعتبار عدوانها واحتلالها تاريخاً وعدم إضاعة الوقت في تحديد من الخطيء فإذا أصر العرب فهم المخطئون لأنهم تحرشوا بإسرائيل !! تماماً كما يحمل جلالته الكويت مسئولية استفزاز الوحش العراقي ..

ولكن الأمر أخطر من مجرد تلميذ يقلد أساتذته الإسرائيليين ، بل إن إغفال الكويت في الحديث عن الحوار والوساطة والتركيز على السعودية التي ليس لديها ما تتفاوض عليه مع العراق ولا ما تتنازل عنه وصولاً للحل الوسط ، هذا التركيز ليس عن غباء ولا لجرد إضاعة الوقت ، بل هو عن قصد بهدف إظهار السعودية ، وكأنها هي التي تمنع الحل .. وأن الحرب مع السعودية .. وأن المتصلب هي السعودية .. قد يكون ذلك جزءاً من مؤامرة علمها عند الملك ويستحق عليها مبلغ العشرة ملايين دولار التي يتقاضها سنوياً من المخابرات الأمريكية . وصرفت لفترة بتوقيع الرئيس بوش شخصياً مما سمح للرئيس الأمريكي أن يعامله معاملة لا تليق بتاجر مخدرات من أمريكا اللاتينية ، وصبر جلالته واحتسب .. أو بالأحرى حسب قيمتها بالدولارات ! .. ولكنها على أية حال حيلة تفتقد الحكمة والبراعة . فليس لدى السعودية من خلاف ولا قضية مع العراق إلا احتلاله للكويت

ثانياً : إن وجود القوات المساندة وإن كان قد بدأ بالعدوان العراقي ثم بطلب من السعودية فهو لم يعد قضية تخص البلدين بل الأمم المتحدة ، وهناك ٢٦ دولة مشتركة في هذه القوات تدعمها العديد من الدول في أوروبا وآسيا ، كلها مشتركة وملتزمة بتنفيذ قرارات صادرة بالاجماع من الأمم المتحدة ، منها على سبيل المثال تنفيذ الحصار ضد العراق وهو قرار وافقت عليه حتى الصين واليمن وتعلان التزامهما به . هذه الدول لا يمكن أن تنسحب وترفع الحصار إلا بقرار من الأمم المتحدة . بل إن قرار الحرب بعد ١٥ يناير القادم لم يعد مرجعه الإرادة المنفردة للسعودية ولا يستمد شرعيته من الكونغرس أو الرئيس بوش بل من تحويل صدر بأغلبية ١٢ صوتاً من ١٥ .. فلا يمكن لأى اتفاق تصل إليه السعودية والعراق أن يأمر هذه القوات بالتدخل عما جاءت من أجله .. فتنصاع ! القرار الوحيد الذى ينهى المهمة وينهى مبرر وجود القوات .. هو تنفيذ مقررات الأمم المتحدة ، وهو أمر ، تحقيقه ، فى يد رجل واحد ، مسلماً أو تنفذه ٢٦ دولة كرهاً .

ثالثاً : لقد أعلنت السعودية وجميع الجهات المعنية أن هذه القوات لن تبقى يوماً واحداً بعد إنجاز مهمتها وهى تحرير الكويت ، وأعلنت الولايات المتحدة أنها موجودة فقط لهذه المهمة ولا يخفى على خبير بالتآمر والتآمرين أن انسحاب العراق بغير

حرب يسقط حجة أمريكا فى البقاء .. أما الحرب ففتتح احتمالات لا حد لها . (تذكر أن هذا الكلام كتب قبل ضرب العراق وتأمل من الذى كان يحرص على العراق ومن الذى كان يغمر بالعراق — مايو ١٩٩٢) .

وأخيراً بمن يغمر الملك .. ما هو الضغط الذى يشكله الاحتلال العراق على القوات الأمريكية فيمنعها من تحقيق أهدافها الأخرى من الوجود بالمنطقة .. بالعكس .. ألا يشكل الاحتلال العراقى واستمراره المبرر والغطاء لمن يريد البقاء فى المنطقة .. إن كل حديث عن التفاوض لتحقيق أو ضمان الانسحاب الزمنى إنما يهدف لإطالة احتلال الكويت وتحقيق فى نفس الوقت استمرار الوجود الأجنبى فى المنطقة .

ومن ثم فلا معنى للوساطة لدى المملكة السعودية فى هذه القضية . أم ترى يريد الوسيط حسين أن يتوسط عند الملك فهد ليقنعه بضرورة حل القضية الفلسطينية ؟!

لنفرض أن جميع الأطراف العربية اتفقوا على ضرورة حل المشكلة الفلسطينية فماذا بوسعهم أن يفعلوا لإجبار أمريكا والاتحاد السوفيتى اللذين يرفضان الربط .. هل يناشد العرب صدام ألا ينسحب من الكويت إلا إذا انسحبت إسرائيل وحلت كل مشاكل المنطقة ؟!

ادعاء إسرائيل في مواجهة الطرح العربى . فخلال العشرين عاماً الماضية على الأقل ، كان العرب يقولون إن إسرائيل هى أساس التوتر والقلق والحروب فى الشرق الأوسط . وكانت إسرائيل تجند إعلامها لتقول إن الخلافات العربية والصراعات فى المنطقة سابقة على وجود إسرائيل ومستمرة بمعزل عن إسرائيل . وكانت استشهاداتها بحوادث الحدود أو الحرب الأهلية اللبنانية حتى أسعفها العراق بأكبر عدوان فى تاريخ المنطقة منذ ١٩٦٧ وأكبر إدانة فى تاريخ العالم وأكبر تحرك فى مواجهته أو بسببه وأكبر حشد من القوات والمعدات . وحتى الملك حسين وليس صدام حسين فحسب لا يستطيع أن يجد الجرأة لادعاء أن إسرائيل هى السبب فى الغزو العراقى . من حق إسرائيل إذن أن تقول لسنا نحن سبب التوتر فى المنطقة إنما هم القبايل العربية بعداوتها التاريخية وأطماعها المسلحة بالتكنولوجيا^(١) .

خامساً : جلالته سعيد جداً بلعبة الربط التى اكتشفوها وعلقوا بها آمالهم لا لحل قضية فلسطين بل لإطالة احتلال الكويت أو تغطية صدام إذا ما رضى وقرر الانسحاب . ولكن جلالته وقد توسط منظمات الارهاب يلبس جلد الثمر ويتحدى

(١) انظر رسالة .. إسرائيل ليست أصل المشاكل وإنما المشاكل قبل وعد بلفور ومن الصراع القبلى العربى .. المنشورة فى الدبلى تلغراف ١٢/١٢/٩٠ وهو نفس الكلام الذى قاله هيكىل عن صراع القبايل .

رابعاً : مثير حقاً القول بأن أزمة الخليج الحالية سببها القضية الفلسطينية وأنه ما لم تحل هذه الأزمة فستجدد أزمت الخليج .. هل احتل العراق الكويت ليحل أزمة فلسطين ؟! ربما .. بعد أن تجمع خبراء خطف الطائرات فى بغداد لا يستبعد أن يكون الرئيس العراقى قد اقتنع بأسلوب الرهائن فقرر أن إبادة الكويت كلها أسهل من نصف إسرائيل . وهكذا خطف الكويت ليساوم عليها العالم ، مقابل إطلاق سراح الشعب الفلسطينى من سجن الاحتلال الاسرائيلى .. ربما .. ولكن — لأسف الملك حسين — صدام لم يقل ذلك أبداً فى تبرير الغزو بل تحدث ولا يزال عن الحقوق التاريخية والجزء الذى عاد للكل والابن الضال الذى ضاع ثم عاد لأحضان الأب المتنازع .. ولم يطرح الربط إلا عند الحديث عن الخروج من الكويت وليس الدخول . أم يقول جلالته أن العراق من شدة حزنه على حقوق الشعب الفلسطينى ومنع جلالته له من التعبير عن مشاعره بالوسيلة الطبيعية الشرعية بعبور الأردن فى اتجاه إسرائيل فانخرف الرئيس العراقى وانفجر كبتة فى اتجاه الشقيقة الكويت ؟! مرتكباً الحرام والعار ويريد من العرب مباركة ذلك والدعاء له لكى ينجب الحل الشرعى لمشاكل الشرق الأوسط ؟!

فإذا خرجنا من هزل المنطق الصدامى إلى جد الواقع المساوى فإن من أخطر ما قدمته المغامرة الصدامية أنها عززت

أن يكون هناك « عربى واحد .. يرفض الربط بين أزمة الخليج وحل المشكلة الفلسطينية وإنقاذ المقدسات .. إننى أعتزم أن مجرد التلويح الأجنبى بأن عربياً واحداً يمكن أن يقبل بعدم الربط هو إهانة لكل الأمة العربية فإن وجد هذا العربى فليكشف عن نفسه .. »

معروف رأى علماء النفس عن أحلام الطفولة المكبوتة التى تجعل شيخاً فى الستين يرتدى سروالاً قصيراً ويركب دراجة كما فى القصة الروسية الشهيرة .. وجلالته بلاشك كان يحلم فى شبابه أن يحمل على الأعناق ويهتف له فى مظاهرة قومية أو على الأقل يسمح له بالهتاف فيها .. ولكن الظروف المعروفة والمسلكية المعروفة أكثر ، جعلته طوال السنين الأربعين الماضية على كل لسان وفى كل مظاهرة فى العالم العربى ولكن بغير ما يود ! وهى الفرصة قد حانت ليتحدى هو مرة باسم القضية الفلسطينية !! . مبروك !! إن الله يقبل التوبة قبل الحشرجة .. إلا من شرع بالكفر قلبه .

ومن أجل المزيد من التوبة ، ما رأى جلالته فى اقتراح يحقق الربط الذى لا انفصام له وي طرح الصراع العربى الإسرائيلى طرْحاً عنيفاً .. وما رأى جلالته أن يثبت فعلاً إخلاصه لحل القضية الفلسطينية ، ودعم موقف صديقه ، بأن يتيح للجيش

السورى أو الجيش العراقى — لا أن يحتل الأردن ويعلم ضمها ، حاشا لله أن نطالب جلالته بهذا الامتحان العسير الذى يدعو الكويتيين لقبوله فى سبيل القضية — بل ندعو جلالته إلى مجرد السماح لأحد الجيشين بعبور الحدود والتواجد فى الأردن . أو أبسط من ذلك حرك القضية من حدودك .. اسمح للجيش الأردنى أو حتى لمنظمة التحرير بالعمل من حدودك ضد إسرائيل .. هل تشك جلالتك فى أن إسرائيل ستورط على الفور بعمل عسكري ويصبح العالم أمام الربط المسلح وتتاح الفرصة للحل الشامل الذى تطالب به جلالتك ؟ لماذا يجب أن يتم الربط على جثة الكويت بينما تنعم أنت بالحماية الإسرائيلية وتمارس دورك كضابط نقطة حدود لحماية أمن إسرائيل ؟!

ما هو الربط الحادث الآن إلا اختطاف الكويت وادعاء المساومة عليها ؟! نعم « ادعاء » إذ لا أساس على الإطلاق للمساومة ، فلا أحد يصدق أن الأمريكان سيقاتلون إسرائيل أو يصطدمون معها من أجل تحرير الكويت .. وإخراج صدام سلمياً وسليماً منها ؟! إن هذا اللون من الربط يبرر جريمة إسرائيل ولا يدينها ويجول قضية فلسطين والشعب الفلسطينى من القضية الرئيسية التى يتمحور حولها الوجود العربى ، يحولها إلى مجرد ورقة فى جيب المفاوضات العراقى يساوم عليها أو يبتز بها الولايات المتحدة لا لتخرج له إسرائيل من الأرض المحتلة .. بل

ليحصل على حقل نفط ومال وتعديل الحدود لحسابه .
نحن مع الربط الذى يرى أن بداية مسيرة العدل فى فلسطين
هى تنفيذ العدل فى العدوان الساخن الذى استطاع لظروف
عديدة — منها انخياز أمريكا لإسرائيل — استطاع أن يوحّد إرادة
العالم ضد العدوان .. ولكنها أصبحت سابقة .. نحن مع الربط
لو كان صدام وحسين يريدان حقاً تحرير الأرض المحتلة وليس
المساومة على مكاسب للعراق . ونحن نقدر ظروف الفلسطينيين
وحقهم المشروع فهو التعلق بكل بارقة تخلصهم من الظلم
الفادح الذى يروحون تحته حتى أنهم قبلوا أن يقامروا على الذى
غزا الكويت وترك مسجداً يهود وأرضنا تمحى عروبها « تحقيقاً
للحلم الصهيونى الكبير » — كما يذكرنا جلالته — وينسى أن
يدين الذى اختار هذا الوقت بالذات ليوجه طاقة العراق بل كل
طاقات العرب لحل النزاع على عشرة آلاف برميل ينتجها حقل
الرميلة .. ولكن اللوم كل اللوم على القيادة الفلسطينية التى
وضعت الفلسطينيين فى هذا المأزق بالمقامرة على من تعرف أنه
لا يعبر قضية فلسطين حبة خردل .. وأن يتعاونوا مع حفيد
الشرىف حسين الملك حسين الذى لم يدخر جهداً فى حل
القضية الفلسطينية نهائياً بإبادة الفلسطينيين وما أيلول الأسود
ببعيد !^(١).

(١) أصدرناها بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٩٠ .

وكان الأستاذ هيكمل قد قال فى حديث له فى صباح الخير
أول نوفمبر ١٩٩٠ : « أنا أرى أن الملك حسين متسق ومنسجم
مع نفسه ومع موقفه .. أى إنسان عاقل يدرك مدى عتابه
الشديد جداً على ملاك البترول .. إذا رأيت الملك حسين خارج
السياسة الأمريكية فلا بد أن تدرك أن لديه أسبابه القوية » ..
وتساءل : هل بإمكان القائد الأمريكى الموجود بالسعودية أن
يحرك كل جيوش الدول العربية ؟ ورد على نفسه : سترفض الأمر
لأنها تحت القيادة السعودية . وهل تأتمر القوات الفرنسية مثلاً
لأوامر القائد الأمريكى ؟ ومرة أخرى أجاب : أشك كثيراً . وقد
ثبت أنه هو موضع الشك . وكذلك معلوماته وتحليلاته التى
ثبت بطلانها فالقوات الفرنسية كانت تمهول لاحتلال العراق
تنفيذاً لأوامر القائد الأمريكى والقوات العربية كلها كانت على
أتم ما يرام^(١).

ولكنه بعد مقابلة الملك توسع فى شرح وتأصيل شكوى
الملك من معاملة ملاك النفط فقال : « وكانت عمان غير راضية
عن شيوخ البترول بالجملة ، فالأزمات الاقتصادية تعصرها
والأثرياء لا يساعدون بالقدر المنتظر » . ولعل الملك حسين وهو
المستول الوحيد الباقى على عرش هاشمى كان يحس فى أعماقه بأن

(١) الجنازة حارة ص ١٨/٣١٧ .

«شيوخ البدو» الذين كانوا يتطلعون إلى أجداده باعتبارهم «أشراف الشيوخ» أصبحوا الآن في وضع من يعطى ويمنع ، وربما لم يكن يضايقه كثيراً أن يشعر أصحاب البترول الذين نزل عليهم الغنى دون حساب بخطر يهددهم ويعيدهم إلى الأرض من طبقات السحاب التي حلقوا إليها بغير أجنحة . الطبعة العربية .. ٣٣٤

وهيكل فضلاً عن جهله بتاريخ العرب ، فقد تعود أن ينخع نظريات كما قلنا ويستخدمها كحقائق في التفرير بالخواجات الذين يعشقون الطرائف والغرائب عن العرب فهو يقول مثلاً «التقاليد في الجزيرة العربية تقضى أنه عندما تتبادل الأسرة الحاكمة السفراء فإن السفير يجب أن يكون من الأسرة وليس موظفاً عادياً» ١٩٦ انجليزية .

يعنى الدكتور القصيبى (السفير السعودى بالبحرين) والشيخ محمد العتيبي (السفير السعودى بالامارات) من آل سعود !!

ما هذا الجهول النصاب ..
أو يقول :

«سلطان نجد عبد العزيز آل سعود هجم على مملكة الحجاز واحتلها كلها وضمها إلى سلطانه جاعلاً من الاثنين نجد

والحجاز مملكة واحدة تحمل اسم أسرته. وهكذا قامت المملكة العربية السعودية !» ص ٤٩ عربى .

وفكرنا في سر تعجبه .. لا يعقل أنه زعلان من توحيد نجد والحجاز ، هو إذن يردد مقولة الأمريكان الوقحة السخافة والادعاء وهى كيف تسمى دولة وجنسية على اسم شخص ؟! وقائل هذه أول مرة هو أفاق أمريكى اسمه لاسي على اسم الكلبة لاسي !!! ها ها .

أولاً أهم جنسية في العالم وأكبر بلد في العالم وهى الجنسية الأمريكية والولايات المتحدة على اسم رجل هو Amerigo Vesspucci الذى على اسمه تسمت أمريكا والأمريكيين . وعاصمة أمريكا هى واشنطن وأحد أهم الولايات هى ولاية واشنطن وابن هذه الولاية اسمه واشنطنونى أو كما يقولونها Washington فما العجب عندما يفعل العرب ذلك ؟! ثانياً إن هذا هو التقليد الإسلامى والعربى فهناك الدولة الأموية والدولة العباسية .. والمتوكلية .. وآخرها الدولة العثمانية، وكان مواطنها يسمى عثمانلى .. ذلك أنه في تاريخنا تكونت هذه الدول على يد رجل أو عائلة . وبالنسبة لآل سعود لا توجد دولة في العالم مرتبطة في تكوينها وتاريخها بأسرة مثل ارتباط المملكة بآل سعود هم الذين وحدوها أول مرة وثاني مرة وهم الذين قدموها

على مسرح التاريخ ، ومن ثم ليس إلحاقاً ولا اقتفاءً بل اعترافاً بحقيقة تاريخية تماماً كما سميت الدولة العثمانية على اسم أسرة عثمان !

فإذا عدنا للنص الشريفى نجد أنه حافل بالأكاذيب فالذى يقرؤه يظن الملك حسين من البوربون أو القياصرة أو حتى ملكاً من أسرة محمد على وليس شيخ بدو إلى أن ظهر النفط وفاض عليه فأصبح صاحب الجلالة .. أما أن شيوخ البدو كانوا ينظرون لأجداده باعتبارهم «أشراف الشيوخ» فهو من إنشاءات الأستاذ هيكل أستاذ الظرفاء في مناققة الملك والرؤساء .. إن حكاية الشريف لم تكن تساوى في العلاقات العربية درهماً ولا ديناراً . (حكاية هاشمى وأسرة هاشمية وعرش هاشمى لم تكن شائعة وإنما روجها الإنجليز) وحتى لقب الشريف لم يكن موضع اهتمام لا من الناحية السياسية أو الاقتصادية إلا أثناء الحرب العالمية الأولى عندما نفخ الإنجليز فى الأسطورة لمواجهة نفوذ الخليفة العثمانى المتحالف مع الألمان وأغدقوا الذهب على الملك حسين أو شريف مكة الذى لم يكن أكثر من شيخ بدو باعتراف ابنه الملك على فراح يشترى الولاء للإنجليز بالذهب وكان الجميع يعرفون الجهة التى يحصل منها الشريف على الذهب فكان العرب عندما يدعواهم لتأييد الإنجليز ضد الترك يقولون له ابعث لنا ممن ذهب المعلومات ! وما أن انقطع الذهب حتى أطيح بالشريف .. وقال له عبد العزيز : لقد هزمتك لأنك خلعت ثوب جدك وأنا لبسته .

وأصبح اسم الشريف لعنة على كل لسان فى العالم العربى والعائلة الهاشمية فى الأردن والعراق رمزاً للخيانة وما نزل بالعرب حتى إن **Randall Baker** مؤلف كتاب الملك حسين ومملكة الحجاز يقول : إنه ألف كتابه هذا لانصاف الملك حسين فالفكرة الشائعة عنه أنه باع الأمة العربية فى فجر ميلادها عام ١٩١٦ وان اسمه مازال يشير الحنق إلى اليوم من فلسطين إلى اليمن ص ٤٧١ .

أما قبل الذهب الانجليزى فلم يكن من مصدر ثروة شريف مكة إلا نهب الحجاج والمظالم والمصادرات حتى كان حكم الشريف هو رمز للمفساد والتخلف وكان كل شيوخ الخليج أغنى منه بالتجارة وصيد اللؤلؤ .. وقد دخل تحت طاعة السعوديين بعد أن حاربهم «فهزموه فرجع إلى الطائف وأحرق داره وخرج هارباً إلى مكة» وفى النهاية يقول الجبرى : لم يسع الشريف غالب إلا الدخول فى طاعتهم (طاعة السعوديين) وسلوك طريقهم وأخذ العهد على دعائهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها .. وغير ذلك ، فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا بالأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون سيد الجميع محتاج إليها فيما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها .. فعاهد الشريف ابن

شراء السلاح وتسليمه للأردن رفض الملك وسلط عليها الإعلام لأن الهدف كان حرمان جلالته من العمولة عن السلاح الذي لم يستخدم قط إلا في ضرب الفلسطينيين . ثم تقرر ميزانية خاصة للأردن لدعم صموده في شوارع عمان وكان آخر رقم ٣٠٠ مليون دولار سنوياً .. واستغل الأردن كل أزمات العالم العربى وعرض جيشه لحماية الأنظمة الخليجية وفتحت هذه الدول أبوابها للخليجيين حتى شاهدت عمان أعلى معدل تنمية في تاريخها بعد أن فقد الحسين نصف البلاد .. إذا كان البدو لم يدفعوا فكيف أصبح الهاشمي أغنى رجل في العالم أو حتى من أغنى بضعة رجال في العالم ؟ من مرتب المخابرات الأمريكية ؟ المرتب كله عشرة ملايين دولار فهل تكفى لتكوين هذه الثروة ؟

سعود على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله .. الخ^(١) .
فمن الناحية التاريخية خضع الأشراف لطاعة البدو ولم يحدث العكس أبداً ، فلم يكن للأشراف أى سلطة على أحد ممن يطلق عليهم اليوم عرب النفط وبدو النفط طردوا الأشراف نهائياً من الجزيرة .

ولم تكن للشريف مكانة خاصة لا عند محمد على ولا الدولة العثمانية ولا الجيش التركى فقد « استولى الباشا محمد على على موجودات الشريف غالب من نفود وأمتعة وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهم من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً وهتك حرمة .. حتى إنه لما ركب خرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة أخذوا ما في جيبه .. وكل الذى وقع وسبق له فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة » .

فإذا عدنا للحاضر فقد كان الأمير عبد الله جد الملك حسين يعيش على معونة الانجليز ولما ظهر النفط داس على كرامته ومد يده لشيوخ الخليج وفي عهد الحسين تدفق النفط على جلالته حتى إننا لا نغالى إن قلنا إنه كفر د نال أكبر حصة من مال النفط فى شكل مرتبات وهدايا وعمولات عن صفقات السلاح التى كان يشتريها من مال النفط فلما حاولت بعض الدول النفطية

(١) ص ١٧٤ من كتاب السعوديون والحل الإسلامى .

عودة الحاوى الطروب (١)

أخطر ما في مقال هيكل هو الفقرة الأخيرة التى لخص فيها دعواه بقوله : « إن الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها . إن الشرعية أولاً وأخيراً يجب أن تكون تعبيراً عن واقع الجغرافيا والتاريخ ، إن الشرعية يجب أيضاً أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الإنسانية وحقيقة أن كل هذه الأمور تتغير مع الوقت » ..

هذا هو أخطر ما قيل حتى الآن — إنه إعلان الوطن العربى مدينة مفتوحة مباحة لكل من له طموح أو تطلعات ولكن لنؤجل تفصيل ذلك حتى يأتى فى سياقه كما قال .

بدأ هيكل بشهادة الزور التى يبدأ بها كل أعوان صدام حسين وأعنى استنكار الغزو ثم يجعلونه أساس الشرعية فى

(١) نشرنا هذا المقال فى جريدة الوفد فى أكتوبر ١٩٩٠ .

ما يطرحونه من تساويات ، أو يرفعون من شعارات ، وقديماً لخص مايلز كوبلند الدور الذى كان هيكل يلعبه فى أيام الناصرية فقال : « إن مهمة هيكل كانت تحلية قراراتنا ومطالبنا المرة ليسهل على عبد الناصر ابتلاعها وتبليغها للعالم العربى » .. ويبدو أنه قد عاد لمزاولة مهنته فقد حاول استخدام كل مابقى وتعطن من سكر الستينيات لتحلية العلقم الذى قذفه الغزو العراقى فى حلق الأمة العربية .. وقد استخدم هيكل كل ما فى جعبته لتحلية الغزو فقال إنه لا يرثه ! وهو تعبير لا يرقى للإدانة ولكنه لا يهبط إلى التأييد الصريح ، حتى لا يفضب الناشر الانجليزى الذى يحشد قواته وأساطيله لضرب الغازى وسط أكبر تأييد شعبى عرفته بريطانيا لسنوات ..

فهو خطأ ، أى الغزو ، ولكنه فعل مجنون دبر بليلة ، بل له مبرراته ويمكن أن يكون الشر الذى يأتى منه الخير ! .. والخير هو هذا الحل الذى توصل إليه وإن أجل إعلانه إلى نهاية المقال لكى يزداد شوقنا ، ومفضلاً أن يعلم قراءه بعض التاريخ .. ومن ثم يتلو علينا الأسطوانة المشروخة عن قبائل الخليج وحدودهم التى « كانت نتاجاً للعبقرية البريطانية » ..

والذين يعانون فقراً ثقافياً نتيجة اقصرارهم على قراءة هيكل سيظنون أن حدود دول الخليج هى وحدها التى رسمتها السياسة لا التاريخ ولا الجغرافيا . أو هى وحدها التى لا تنطبق حدودها

على شعوبها .. أما الذين أتيج لهم بعض العلم فيعرفون أن كل الوطن العربي ، بل كل الشرق الأوسط إنما خططت حدوده وفق الصراعات والمصالح الأجنبية الاستعمارية . ولطالما تغنى صدام حسين في شبابه البعثي باللواء السليب أى الإسكندرونة ، التى اقتطعت من سوريا ومنحت لتركيا لتسكت عن ضم الموصل للعراق . وهناك الصراع المسلح بين تشاد وليبيا . ومن مصر اقتطعت السياسة الاستعمارية ، بالقوة من ترابها ، واحة جغبوب بعد أن اعترف العالم بها كجزء لا يتجزأ من مصر لزمن أطول من عمر التاريخ ! وهناك حلايب بين مصر والسودان ، والنزاع على الحدود بين المغرب والجزائر بدأ مع اليوم الأول لاستقلال الجزائر ، ومازال بصورة أو أخرى حول الصحراء . بل وأكثر من دولة ما كانت لتوجد إلا بفضل السياسة الأجنبية مثل موريتانيا والأردن وفلسطين ولبنان إلى حد ما .. والعراق ذاته هو أكبر شاهد على ذلك لا من جنوبه فحسب بل من شرقه وغربه وشماله ولو كانت بريطانيا قد احتلت تركيا بدلاً من العراق لكان الموصل ونفطه الآن فى تركيا وليس الأنايب وحدها . ولو خرجت فرنسا من الحرب العالمية الأولى أقوى من بريطانيا لكانت الموصل قد ألحقت بسوريا وكانت دمشق هى التى فى الأوبك ، ولكانت مطالبة العراق بالعدالة العربية فى توزيع عائدات النفط أكثر صدقاً ! إذ من الغريب أن تصدر هذه

الدعوى من العراق أغنى الدول العربية النفطية ، ومن أبرز مصدريه ، والذي يملك ثانى أكبر احتياطى للنفط بين العرب . وهو أيضاً الدولة النفطية الوحيدة التى تمتلك مصادر هائلة من المياه والأراضى الزراعية والطاقة البشرية . وهو أيضاً الدولة النفطية التى لا تدفع مليماً لعرب المدن الفقراء ولم يتقدم العراق يوماً واحداً باقتراح لعدالة التوزيع أو تذكر مصر والعرب الفقراء ، حتى أطبق عليه فخ الكويت فلبس عمامة التقوى ونشر قميص الحق المعلوم للشعب المحروم .

ومهما قيل عن الدخول والإنفاق فى دول الخليج فهى وحدها التى دفعت . والعراق كما كتبنا من عشر سنوات هو الذى تزعم إنشاء أوبك لكى يخرج الدول غير النفطية ومصر بالذات من النفط قراراً وتوزيعاً .. وعراق صدام حسين كما قال الرئيس حسنى مبارك هو الذى تزعم ونفذ بالإرهاب خطة حرمان مصر من الطوفان المالى الذى جاء به سنوات السبعينيات بحجة خيانة مصر للقضية الفلسطينية ، وفى هذا الوقت بالذات كان هيكىل يحرض أعضاء الكونجرس الأمريكى على مقاطعة مصر ومنع الدعم عنها حتى اضطر رئيس جامعة بوسطن والسفير الأمريكى السابق فى مصر إلى تذكيره بأنه حتى فى الولايات المتحدة فإن القانون يعاقب من يحرض دولة أجنبية على الإضرار ببلده . فليس الجيل الجديد من أولاد القبائل هم

الذين حرضوا على تجويع مصر بل صدام حسين وهيكمل وكل التقدميين بل إذا كانت القبائل قد اشتركت في المقاطعة فبعد أن سحبت عليهم المسدسات كما قيل !

وهيكمل مثل كل الذين يتعمدون عرقلة حل المشكلة ، وإطالة الأزمة لزيادة فرص التدخل الأجنبي ، كلهم يتغنون بالحل العربى ، فهو الأنظف و « الأكثر ملاءمة للنفسية العربية » وكأنه اكتشف البارود ، أو كأن الإنسان العربى فى محتته هذه يقف فى سوبر ماركت الحلول ، فينصرف عن الحل العربى ويفضل الحل المستورد !

هذه الوطنية المفاجئة مشبوهة لعدة أسباب :

* الذين ينادون بها لم يلتزموا بها ، فصدام حسين لم ينتظر أى حل عربى لخلافه مع الكويت ، بل أعطى كل القوى الفرصة الذهبية للتدخل وفرض حلولها بإقدامه بقرار منفرد على غزو الكويت .

* والذين يحاولون إطالة احتلال الكويت بالحديث عن حل عربى ، هم الذين ساهموا فى نجاح المخطط العراقى بتدمير الجامعة العربية أو على الأقل شلها تماماً ، والجامعة العربية هى المصنع الوحيد المهيأ والمصرح له بإنتاج الحل العربى ، ولذلك تعتمد المخطط العراقى تخطيطها ، وقص أجنحة مصر والدول التى يعرف

أنها ستعارض غزوه ! وما هذه الاستقلالات والأزمات إلا لسد الطريق على الحل العربى ..

* إذا كان صدام حسين مؤمناً بالحل العربى لماذا لم يلتزم بهذا الحل فى خلافه مع الكويت بدلاً من اللجوء للدبابات ؟! سيقول المنافقون من الكتاب .. إنه حاول ولم ينجح بسبب عجز الجامعة العربية أو سوء طويتها أو الإثنيين معاً .. تماماً هو كذلك فعلاً ! فماذا جد بعد احتلال الكويت لكى يستقيم سلوك الجامعة العربية وينشق منها الحل العربى ؟! الجامعة بسبب من عجزها أو فساد نيتها لم تستطع أن تحل خلافاً حول ديون مالية أو نسبة توزيع حقل نفط ، كيف تستطيع حل قضية احتلال ومحافضة ١٩ وأمم متحدة وعالم واقف على سنه كما يقول العامة ؟! هل سيتحسن سلوك العرب ، لأن صدام وراهم العين الحمرا .. ليكن .. فهناك من عينه أشد احمراراً ونابه أقطع .. بمن يغرر دعاة الحل العربى بعد أن استخدموا الحل المسلح ؟! ..

وفى عام ١٩٦٠ عندما هدد حاكم العراق باجتياح الكويت طلب حاكم الكويت الجنود الانجليز فجاءوا وعسكروا على الحدود السعودية العراقية ، ولأن عبد الناصر لم يكن عميلاً لبغداد ولا راغباً فى استمرار الوجود البريطانى لذلك لم يبدد الوقت فى استنكار استدعاء الأجنبى ، ولا استصدار الفتاوى ضد مشروعية هذا الاستدعاء . بل بادر بإرسال الجيش

المصري^(١)، ولم يقل أحد يومها أن العسكر المصريين ليسوا إلا غطاء للجيش البريطاني .. كان الناس في بلادى أقل وقاحة، أو قل كان عبد الناصر يعرف كيف يلزمهم حدودهم .. فلما تكونت القوة العربية ومعها الحل العربى .. تم التسليم والتسلم على حدود الكويت وانسحب الانجليز .

أكثر من هذا في تلك المرة جاءت بريطانيا منفردة وبدون قرار من الأمم المتحدة، وبريطانيا كانت تستعمر الكويت ولم تخرج إلا منذ شهر، بل أسابيع .. ومن ثم كانت شبهة عودة الاستعمار أكبر .. أما اليوم فأمريكا لم تكن تحتل السعودية وأمريكا لا تقف وحدها بل تشترك معها بالرجال أو المال أو الالتزام السياسى، جميع القوى العالمية المؤثرة عسكرياً، أو مالياً، أو سياسياً، وكلها ملتزمة بقرار الأمم المتحدة وأعلن في جميع المناسبات أن اتفاقية الاستدعاء تنص على حق الدولة الداعية في إلغاء طلبها . ومن ثم فالسبيل الوحيد لكى تتحول هذه القوات إلى ما يشبه قوات الاحتلال في القرن التاسع عشر هو استمرار المبرر العراقى . ونقول اليوم (مايو ١٩٩١) إن هذه القوات لم تحتل إلى الآن إلا العراق الذى اقتحمته من الجنوب

(١) والغريب أن الذى أيد إرسال الجيش المصرى لليمن والكونغو والجزائر للحرب ضد المغرب يطالب باستفتاء على إرسال الجيش للسعودية .. متى استشرتم لاستشاروا؟! ٥٢

والشمال .. فالذى أعاد المنطقة لعصر الاستعمار هو العراق، وأول مستعمرة هى العراق التى تحدثت عنها المجلة الأمريكية فأوجعت: «شعبة ..؟ سنى ..؟ كردى .. لا هم فهى مستعمرة أمريكية»^(١).

أليس مما يثير الشبهة أن كل الذين يصرخون ضد الوجود الأمريكى يتعمدون رفض مطالبة العراق بالانسحاب، وكأنهم يصرون على إعطاء أمريكا المبرر للبقاء؟! ٥٣

ولم يكن الانزال البريطانى عام ١٩٦١ هو آخر الاستعانة بالمشركين، فخلال الحرب الإيرانية العراقية، استعانت الكويت بالعلم الأمريكى أو ما يشبه الحماية الكاملة بمفهوم القرن التاسع عشر، ولم تخرج بغداد ولا أنصارها .. وحدث إنزال أمريكى فى أكثر من موقع بالخليج مع استحسان العراق وحاكمها .. ثم جاء الأسطول الأمريكى فى أكبر حشد بحرى منذ الحرب العالمية الثانية، ليدافع عن مياه وسماء العراق وأسقطت مدفعيته حتى الطائرات المدنية الإيرانية، ولم نسمع فتوى واحدة عن مشروعية الاستعانة بالكافر فى محاربة دولة مسلمة، ولا صدرت فتوى بأن الحرب الأهلية بين المسلمين أفضل من الأسطول الأمريكى! .. مما يؤكد تجننى ونفاق المتدينين الجدد .

(١) نيوزويك ١٩٩١/٤/١ .

العراق والوجود الأجنبي يقولون : تسوية سياسية .. وهم نشطون جداً في الوساطة ولكن بين من ومن ؟ .. ما هو المطلوب من السعودية أن تنازل عنه ؟! لا أحد يعرف ..

أما الذين يقلقهم مصير الوطن العربي حقاً فهم يقولون ببساطة أن البحث عن حل أو تسوية أو مساومة خارج قرارات الأمم المتحدة والجامعة العربية ، يعني فتح الباب لأطراف غير عربية .. ولذا فالحل الوحيد لإنقاذ الموقف هو الانسحاب العراقي الفوري .. وبعد ذلك تفتح كل الملفات وهي ستفتح شئنا أو أيننا ، ولن يكون ذلك لصالحنا وهذا ينقلنا إلى الحل الذي يقدمه « هيكل » .

وبداية نقول إن أكبر جريمة يرتكبها المثقف أو السياسي العربي ، اليوم ، هي الدعوة لإعادة تقسيم الثروة العربية أو لرسم جديد لحدودها ، بينما ربع مليون جندي أجنبي على أرضنا وأساطيل وطائرات العالم كله مستعدة لتطبيق شعار « من حضر القسمة فليقسم » ! الوطنية هي العمل على إنهاء هذا الوضع ثم بحث قضايانا فيما بيننا واضعين في اعتبارنا النتائج المدمرة للمغامرة العراقية على الفكر العربي في الخليج .. وسيكون علينا أن نبذل جهداً خارقاً لمنع « الجماهير » في دول الخليج وغيرها من طلب الحماية من كل القوى الرادعة في المنطقة وخارجها .. « كل القوى » أقولها عامداً .. لكي يدرك البعض فداحة الجرم

* ليس سراً .. إن الشعب الكويتي وليس آل صباح وحدهم يأخذون على حكومة الكويت الحالية أنها ظلت متعلقة بأوهام الحل العربي ولم تأخذ بحرص الشيخ عبد الله السالم الذي فضل أن يعقل الأزمة بلواء المظلات البريطاني ثم يتوكل على الحل العربي ! ويقول الشباب الكويتي ممن كانوا يؤيدون شعارات صدام وحرب صدام أنهم دفعوا ثمن التعلق بأوهام الحل العربي . فهل كان المطلوب من السعودية أن تقف ساكنة والجيش العراقي يتقدم نحو الحدود السعودية . والرئيس الأمريكي يصدر تعليقات غريبة لا توضح له موقفاً ؟! لماذا تقدم الجيش العراقي نحو الحدود السعودية ، لماذا قامت طائراته بثلاثة اختراقات للمجال الجوي السعودي ، ولماذا عندما اتصل السفير السعودي في واشنطن ببغداد في المرة الأولى ردوا عليه رداً هزلياً من طراز « أغاثي .. ماكو بينا مجال جوي .. حنا وطن واحد ! » ثم قطع الخط الساخن الذي كان قد أقيم بعد توقيع معاهدة عدم الاعتداء .. ليس من حق المؤرخ أن يستريب في السلوك العراقي ويرى أنه كان يهدف إلى فرض وضع بعينه على صناع القرار في السعودية ؟! ^(١).

والآن ما هو الحل العربي المطلوب ؟! .. أنصار الاحتلال

(١) أخذ هيكل قولنا هذا وجعله في الطبعة العربية (طبعا) الرد على اتهاماته هو نفسه في الطبعة الإنجليزية انظر ص ٤٣٠ من حرب الخليج .

لدورة مال النفط ، مطلب مطروح منذ سنوات عديدة تصل إلى نصف قرن ، وفي أول مؤتمر للنفط العربي عقد في القاهرة طالب المرحوم أميل البستاني بتخصيص خمسة بالمائة من عائدات النفط لتنمية الدول العربية غير النفطية وكان اقتراحاً إيجابياً وبداية عملية للتفكير عربياً ، فهو جمع من قبل صحافة الناصريين واليساريين وفي مقدمتهم هيكل بوصفه اقتراحاً استعمارياً ودسيمة إمبريالية تهدف إلى إخفاء المطلب الرئيسى وهو تأميم النفط !!

وللحقيقة فإن مطلب تأميم النفط وإن كان قد طرح على ألسنة سكان المدن اليساريين في القاهرة ودمشق ، وأيضاً على لسان المثقفين السعوديين والكويتيين لكي لا نظلم الناس حقها ، فالحقيقة أيضاً أن هذا الشعار لم ينفذ إلا بعد أن سكنت تماماً هذه الأصوات وأصبح القرار في يد الصحراء وقبائلها أو ما أرخه هيكل وقتها تحت عنوان « الحقبة النفطية » يوم راح يبشر بزوال دور مصر ! محاولاً خطب ود هذه القبائل وعرض نفسه على صحافتها ..

والحديث عن عدالة التوزيع حديث محجب عند التقدميين واليساريين وهو يشبههم فيضرب لنا المثل بأوربا والوحدة التي حققها .. ولو كان يعتمد العلم أو حتى الصدق لعرف أن أوروبا حاولت إعادة توزيع الثروات مرة بالحل النابليوني ثم بالحل

الذى ارتكبه صدام حسين ويبره هيكل .

ولست أريد أن أخوض في حديث مال النفط ولا كيف أنفق ولا كيف يجب أن ينفق فكما قلت إن هذا هو أسوأ وقت لفتح هذا الملف ، لأننا إذا دعونا لوليمة النفط في ظل هذا الحشد العالمى فلن نكون وحدنا المدعوين للوليمة بل سنصبح مادة للوليمة ! .. ولذا فحسبى أن أشير إلى بعض الهوامش فأسال :

« هل كان اتفاق النفط في دول المدن التقدمية أكثر حكمة وعائداً منه في دول الصحراء القبلية على المستوى القومى أو حتى القطرى ؟ .. هل اتفاق فرد ثرى مهما كان سوء تصرفه يعادل إهدار القيادة الثورية ثروة أمة بالكامل مאלاً وبشراً ومدناً في حرب خاسرة لا تحقق إلا الدمار والإفلاس ؟! من هى الدولة الخليجية التى أنفقت معظم دخلها النفطى على تدبير ذاتها في الحرب مع جارة عربية أو جارة مسلمة .. ولا أذكر أسماء وإنما أنه إلى أن العراق ليس وحده الدولة الثورية التى ارتكبت هذا الجرم ..

وبدلاً من إحصاء عدد الشيوخ ، وقد أصبحوا يعدون بالآلاف ، كم هم عدد الضباط الذين امتلكوا ثروات الدول « التقدمية » وتحكموا في مصائر شعوبها وقادوها عبر الهزيمة والسفاهة إلى الحراب الشامل ؟ .. إن الحديث عن صيغة جديدة

التهلري أو الستاليني وكلها انتهت بالفشل الدموي ، لأنها اعتمدت منطق المجال الحيوى أو حتى العدل وتجاهلت « القبليّة » القوميّة التي تنشأ من مجرد الارتباط بأرض معينة ، وتترتب لها حقوق بمجرد هذا الارتباط .. وإلا فإن الشكوى من ضخامة حصّة الأمريكيّان الجغرافية ، كانت ولا تزال تتردد في أديبات الهنود والصينيّين والمكسيكيّين .. ولكن ما من أحد يقترح تقسيم أمريكا أو أخذ حصّة بالقوة في قمحها الذي لا يزرع ولبنها الذي لا يشرب ..

إن إصلاح الوضع العربيّ لن يتم بالقوة ولا بالارهاب الذي لن يحقق إلا دخول وحوش أكثر قوة وإنما يجب أن نتعلم من الحل الأوربيّ ، الذي اعترف بالسيادة « القبليّة » لكل دولة على مواردها وأكد احترام الحدود بكل ما فيها من ظلم ثم خلق الصيغة التي تقنع بأن تخطئ هذه الحدود يحقق زيادة في مجموع الثروة ، من ثمّ زيادة في حصّة الطرفين .. أما التفكير بأخذ فردة أو ضريبة مرور أو بقانون الغابة .. فلسنا وحدنا في الغابة ، ولا العراق هو أقوى وحوش هذه الغابة .. فإذا فتحنا ملف التنمية العربيّة والدورة الصحيّة لرأس المال العربيّ .. فلعن الله من أخذ أموال الناس بالارغام^(١) وجعل حتى رأس المال المصريّ يفر هارباً

(١) إشارة لقصيدة الإمام أحمد التي فكت الاتحاد الثلاثي .. وقال فيها : وأخذ مال الناس بالارغام .. شريعة ليست من الإسلام .. الخ .

مشرداً يبحث عن الأمن ولو في بلاد المشركين ولعن الله من حول العامل العربيّ إلى لاجئ ضائع بلا حقوق ولا كرامة . ثم نصل إلى الوشاية التي وشى بها عما يدبر للمنطقة وإن طرحها في صيغة حكمة ثورية عندما قال : « إن الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها . إن الشرعية أولاً وأخيراً يجب أن تكون تعبيراً عن واقع الجغرافيا والتاريخ . إن الشرعية يجب أيضاً أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الإنسانية وحقيقة أن كل هذه الأمور تتغير مع الوقت » ..

لقد أسقط هيكل شرعية الوطن العربيّ كله وفتح الباب على مصراعيه لإعادة رسم حدوده .. لا على أساس الشرعية الحالية لدوله بل على أساس التطلعات والطموحات الإنسانية .. تطلعات من وطموحات من ؟! صدام أم المهاجرين السوفييت .. هذه هي قبلة هيكل وسر الاهتمام بدعواه . لقد أعلن الوطن العربيّ أرضاً بلا شرعية أو كما كانوا يقولون : NO MAN,S LAND أرض بلا صاحب .. ودعا إلى اغتصابها !

ما لن ينشر في مصر من كتاب هيكل^(١)

ليست هذه مناقشة لكتاب هيكل الجديد ، وإنما مجرد نقطة نظام أتقدم بها احتجاجاً على الأسلوب الذي تم به النشر في مصر . فقد حجب عن القارئ المصري أهم ما يعنيه ويعنى المؤلف في نفس الوقت ، وأعنى رأى الأستاذ هيكل في موقف حكومتنا من حرب الخليج . فلا يعقل أن يعرف الناس خارج مصر ذلك الموقف ويمنع المصريون وحدهم من تلاوته !

وعلى أية حال ليس كتاب الخليج هذا ، أفضل كتب الأستاذ ولا من أفضلها وقد اعتذرت صحف بريطانيا عن نشره بحجة انشغالها في الانتخابات^(٢) .. ولا بد أن للسن اعتباره بالطبع ، ولكنى أعتقد أن المهمة التى ألف الكتاب من أجلها كانت أصعب من مهاراته التى لاشك فيها .. فقد استهدف إخراج الملك حسين البطل العربى الوحيد والأوحد فى أزمة الخليج ، الرجل الذى خاطر بكل شئ ليمنع الحرب ويمنع التدخل الأمريكى وينصح صدام بالانسحاب المرة تلو المرة ، ويتفق مع الرئيس المصرى لتهدئة الجو فيغدر به رئيس مصر الذى حملة

(١) هذا هو المقال الأول فى التعليق على كتاب هيكل .

(٢) راجع ما كتبه أخيراً الصندى تايمز فى السخرية بالكتاب والكتاب .

الأستاذ هيكل مسئولية كل ما جرى أو على الأقل مسئولية ضياع فرصة الحل العربى استجابة لتوجيهات الأمريكان . هذا هو الخط العام للكتاب ، وهى كما ترى مهمة صعبة للغاية وقد بذل غاية جهده ، ولكن أغلب الظن خانه التوفيق ، لأن حقائق التاريخ أقوى .

بالنسبة للملك حسين فقد شاركنا الأستاذ هيكل حيناً من الدهر فى عداوته والتهجم عليه بالحق والباطل ، ومازلنا لا نثق فى سياساته ، أما الأستاذ هيكل فقد رأى من برهان ربه ما لم يصلنا بعد ، فغير موقفه وأثنى على الرجل ونقل اتهاماته لحكومتنا ورئيسنا بدون تعليق بل كحقائق مسلم بها .

فالملك كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يشبه عن ضرب العراق « عندما جاءت مكاملة تليفونية من مبارك لبوش الذى بعد أن أنهى المكاملة قال لحسين ، هذا واحد من زملائك يحتمى أن أستخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى » . ص ٢٥٢ .. ولن ننقل كل ما تفتقت به قريحة الكاتب فى تبييض دور الملك حسين بل حتى ولى عهده الحسن .. فهذه قضية أخرى لا بد أن يكون لها أكثر من تفسير !

أما بالنسبة لحكومتنا فسجلنا فى مدحها منذ محمد على لا يصل إلى صفحة فى سفر ما كتبه الأستاذ ، ولكن فى أزمة

الخليج نشهد أن رئيسنا قد فعل كل ما في وسعه لينتج صدام حسين من تدمير العراق ، إلى حد إبلاغه بنوايا بوش بعد الاجتماع الذي عقد معه في القاهرة^(١) ، فما زاد صدام عن أن قال له : إنه لا يصدق أن عربياً يقف مع الأمريكان وإسرائيل .. هذا فراق بيني وبينك !

ولكن الأستاذ هيكل يقدم صورة أخرى فهو يكرر أن الرئيس في الساعات الأولى للأزمة كان يقول : «أنا حاسس أن محي مقبول» .

وأن صدام كان قد اقتنع بضرورة الانسحاب وكل المطلوب صيغة تغطي الانسحاب وهذا ما تكفل به الشهم حسين بن طلال (وألانقول كان هيكل زمان يقول ابن مين ؟) فاتفق مع مبارك على أن يذهب لبغداد ويتنظر الرئيس مكاملة من الملك قبل اتخاذ أى موقف .. ولكن الملك يفاجأ وهو في عنقوان مساعيه الحميدة ببيان رسمي مصري يدين الغزو العراقي وانزعج الملك من خرق الاتفاق ولكن الرئيس «اعتذر بأنه كان تحت ضغط الصحفيين والرأى العام ، ولم يقتنع الملك حسين لأن الصحفيين

(١) القول بأن الرئيس كاد أن يفشى نية بوش من شدة حرصه على إنقاذ العراق اقتبسها الأستاذ من كتابنا ، وهى غير منطقية ولا منسجمة مع عرضه فكيف يكون الرئيس مشتركاً في التغطية ويجذر صدام ؟! ولذلك جعلها زلة لسان . انظر ٤١٦ من كتابه العربى .

المصريين لم يعرف عنهم الضغط على رئيسهم» ص ٢٠٩ .. وما بينك مثل خير ! ويتابع الأستاذ : «وقد أدهش توقيت البيان وزراء الخارجية العرب حيث أنه صدر قبيل اجتماعهم الذى تقرر بناء على طلب مصر ، وبدا البيان وكأنه تنسف كل الجهود التى حاول مبارك أن يساعد بها مهمة الملك حسين فى بغداد» . «كان صدام لا يزال مقتنعاً بإمكانية عقد القمة المصغرة يوم ٥ أغسطس ولم يكن يدري أن مبارك صرف النظر عنه منذ خلافه مع الملك حسين» أما ما تفسير هذه الطعنة فى ظهر الملك ومساعيه ؟ وتفسير التحول فى موقف مصر .. فيقول هيكل : «ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويبدو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم» ص ٢١٠ .

«إن السماح للبارجة إينزهاور بعبور قناة السويس جعل العراق يرجع عن فكرة الانسحاب» ص ٢٢٤ .

ويردد الأستاذ حملة العراق والمؤيدين له على قرار الجامعة العربية الذى أدان الغزو العراقى وطالب بإرسال قوات عربية إلى الخليج فيحكى قصته هكذا : مشروع القرار وضع فى سرية تامة ، ولكن بقية السلف استطاع أن يحصل على نسخة «وقرر على الفور (الملك الحسين) أنه لم يكتب باللغة العربية ، فلفته

تبدو كأنها ترجمة سيئة عن لغة أجنبية وشاركه آخرون في نفس الانطباع وانتشرت إشاعة أن الأصل كتب بالإنجليزية .. وأسقط في يد الملك حسين وجلس مسنداً خده إلى يده وقال: لقد شعرت على الفور أن هذا سيكون أكثر القمم مأساوية في تاريخ أمة العرب» ص ٢٢٩ .

ويتابع الأستاذ: «أحس الكثير من الوفود أن المطلوب منهم هو أن يصمموا على القرار . وهنا اعترف الوفد المصري أنه قد تم عقد مؤتمر لوزراء الخارجية ولكن في وقت متأخر من الليل ولم يضم إلا دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان وأنهم صاغوا القرار ، واعتذر الوفد المصري عن عدم دعوة بقية الوفد بقوله لم نحب إزعاجكم» .

ويستمر الأمين على تاريخ الهلال الحبيب في فضح دور مصر فبعد أن حصلنا على التعليمات من أمريكا وترجمت ترجمة سيئة حاول الرئيس عرفات إنقاذ الموقف فقدم باقتراح إرسال وفد إلى صدام يطالبه بالانسحاب «وعرف بعد ذلك أن هذا الاقتراح كان بموافقة بغداد ولكن في هذه اللحظة قدم سعود الفيصل ورقة لفهد وقرأها الملك وفوتها لمبارك وانقلب الجو تماماً كانت فكرة إرسال وفد لبغداد بدأت تحظى بالقبول من الوفود ، ولكن الرئيس مبارك بدأ يظهر نفاد صبره من هذا الاقتراح» «وفاجأ مبارك الجميع بطرح القرار للتصويت واحتج على الفور

رؤساء آخرون وطلبوا باستمرار النقاش ولكن مبارك أصر على التصويت من مع القرار ومن ضده وجلس القذافي مذهولاً من حركة مبارك ، واحتج عدد من الوفود بأن القرار يجب أن يصدر بالاجماع ولكن الوفد المصري لم يقبل ذلك . لم يحدث قط أن اتخذت الجامعة قراراً بالأغلبية في أمر هام مثل هذا .. لم يستغرق الأمر أكثر من ساعتين لخلق أعظم انقسام في تاريخ العرب وسقطت آخر فرصة لحل عربي» ص ٢٣٤ .

هذا هو عرض هيكل لما جرى ولذا لقد أحسست أن من واجبي نحو المهمة ونحو القراء ونحو المؤلف أن نعرف المصريين ، بما لم يأتهم نبؤه^(١) .

عودة لموقف هيكل القبيح !

عندما سافر هيكل للولايات المتحدة للتحريض ضد السادات ، نشر رئيس جامعة بوسطن السفير الأمريكي السابق في مصر مقالاً غمز فيه الكاتب الكبير غمزتين :

الأولى كانت حول نشاط المخبرات الأمريكية في مصر في عهد عبد الناصر .

(١) نشرت بالأخبار ١٩٩٢/٣/٣٠ والاستشهادات كلها من الطبعة الإنجليزية إذ لم تكن العربية قد صدرت بعد .

والثانية هي قول السفير الأمريكي «إنه حتى في الولايات المتحدة يوجد قانون يعاقب من يستعدى بلداً أجنبياً على وطنه» .

ويبدو أن الأستاذ لم يتصفح فكتابه الأخير هو تحريض ضد مصر باتهامها أنها هي التي منعت الحل العربي ومكنت الولايات المتحدة من ضرب العراق ، فهو كما أشرنا يزعم أن الرئيس مبارك منع هذا الحل العربي بإصدار بيان استنكار الغزو قبل عودة الحسين من العراق ، وإصدار قرار الإدانة من الجامعة العربية . وهو حديث أقل من مستوى الافتراءات التي عودنا عليها الأستاذ الذي قال هذا الأسبوع في مقابلة مع الإذاعة الأمريكية إن صواريخ عبد الناصر كانت صفيح أو كما نطلقها صفيح وكررها أكثر من مرة . رحم الله عنوان : تقدمنا أذهل العالم الذي كان مانشت إعلان القاهرة والظافر أيام الإعداد للهزيمة الكبرى !^(١) .

المهم هل صحيح نسفت مصر الحل العربي ، وهل صحيح ساعد الرئيس المصري على تنفيذ أمريكا لمخططاتها في ضرب العراق ؟

لن نكون مثل الذي حكم بالظلم ليشتهر بالعدل ، ولن

(١) وهو المانشت الذي وضعناه على غلاف كتابنا : « كلمتي للمغفلين » الطبعة الأولى .

تمننا أية اعتبارات من شهادة الحق .. فنقول أن الرئيس مبارك هو الوحيد الذي بذل كل جهد في طاقة بشر لتنبه العراق للمصير الذي ينساق إليه . بل وفي سبيل الهدف القومي وهو إنقاذ العراق ، لم يتمسك الرئيس بالحساسيات الشخصية وهو الذي كلما حاول نصيح صدام حسين رد هذا بالشتم والإهانات .

كان ضرب العراق لا يمكن أن يتم إلا إذا استمر الاحتلال العراقي للكويت ، وتحريض صدام على رفض الانسحاب ، حتى تكمل الولايات المتحدة استعدادها للضرب . وذلك بإقناعه أن الأوراق في يده ومعظم العرب معه ، وإن موقفه قوى وإنه يستطيع أن يساوم ويفرض شروطه وإن الحرب مستعجلة وحتى لو وقعت فإن الجيش العراقي الجبار سينزل ضربات موجعة بالقوات المتحالفة مما يجبر أمريكا على قبول صلح مشرف .. إلخ التهويل .. وكان الموقف العربي الشريف هو محاولة منع الحرب بإقناع أو إجبار صدام على الانسحاب قبل أن يضربوه .

فالملك حسين عندما سألوه هل ينصح صدام بالانسحاب رد ساخراً « ينسحب ونعود لنقطة البدء ؟! » .

محال طبعاً أن يقبل أعداء العرب أن نعود لنقطة البدء قبل الثاني من أغسطس عندما كان العراق مازال محتفظاً بقوته

ومصانعه وهياكله وشعبه .. محال يا صاحب الجلالة وإلا باظنت
خطة إفناء العراق وإذلاله وفك حتى المصانع وليس الصواريخ
وحدھا !

أما المناضل هیکل فقد رفض دعوة صدام للانسحاب بدون
شرط وقال : « عندما يأتي أحد ويطلب دولة بالانسحاب غير
المشروط فلا بد أن تكون هذه الدولة مهزومة هزيمة مطلقة »
(مجلة أكتوبر ١١/١١/١٩٩٠) !!! (وقد رددنا عليه وقتها : أو
دولة عاقلة تحاول تجنب الهزيمة المطلقة المحتومة) .

نعم منع هؤلاء العراق من الانسحاب حتى تحققت الهزيمة
المطلقة فانسحب ليس بدون شروط بل بشروط مثالة لم تفرض
على دولة في التاريخ ! ألم يكن الذين دعوا صدام للانسحاب بلا
شرط كما صدر قرار الأمم المتحدة هم الذين أرادوا إنقاذ
العراق ؟!

حاولت مصر منع الحرب وحاول الرئيس تحذير صدام إلى
حد إبلاغه صراحة بتصميم بوش على الضرب .. فما أكثر ما
صرح مبارك : « إن العراق سيكون الخاسر الأكبر في الحرب
وسيموت عدد كبير من العراقيين » . وفي خطابه في عيد العمال
قال الرئيس مبارك : « إنه بعث لصدام بنصحه بالانسحاب فوراً
أو إعلان نيته في الانسحاب قبل الهجوم الجوي » شتمني » .

ثم قبل الهجوم البري نصحه بالانسحاب فوراً ..
وعندما يضطر الأستاذ هیکل لسرد الوقائع الحقيقية ولو
لإرضاء الناشر الإنجليزي ، لا يفوته أن يدرس تفسيراً يدين مصر
ويبريء صدام !

فهو يورد كيف استدعى الرئيس مبارك السفير العراقي يوم
١٩ أغسطس وطالبه بإبلاغ صدام استعداد مبارك للقيام بأى
مبادرة تتمكن العراق من الخروج من هذه الأزمة لكى لا يراق
الدم العربى هدراً . فرد صدام بعد أربعة أيام أن مبارك هو
المسئول عن الأزمة بانفصاعه للأمريكان وأن الدم العربى على
رأسه . ويتحمل رئيسنا فيدعو السفير مرة أخرى ، ويسلمه
رسالة لصدام ينصحه فيها : أعلن استعدادك للانسحاب وثق أن
ذلك سيغير الموقف تماماً . وفى ٢٢ نوفمبر كتب رئيس مصر
للمدعو صدام حسين يقول له : أرجوك أناشدك حاول أن
تسحب وسنجد ما يحفظ كرامتك أو بالتعبير الشائع وقتها
« حفظ ماء الوجه » . لا تعلق آمالاً على المعارضة لبوش في
الصحف الأمريكية . الخطر فظيع ويجب أن تتحمل المسؤولية .
إن راديو بغداد لا يكف عن سبنا ، ليكن .. واصل سبنا فقط
استمع لصوت العقل . إني أعتقد أنك لا ترى الصورة واضحة
وأن هؤلاء الذين حولك لا يقدمون لك معلومات صحيحة عن
تدهور الوضع .

وبعد مقابلة مبارك وبوش يكتب مبارك لصدام إن « بوش مصمم على العمل العسكرى وإن القوة الضاربة للأمريكان فوق ما نتصور فأية مواجهة ستتهى بمذبحة .. أرجوك حاول أن تفكر ، حاول أن تعيد تقدير الحقائق » .

ماذا يفعل هيكल أمام هذه الوثائق فى أول كتاب له بلا

مراجع^(١) .

كيف يمكن أن يدين مصر ويرى صدام ..

بسيطة ..

يقول : « ويدو أن الرئيس مبارك لم يدرك إن إشارته لحفظ ماء الوجه ستغضب صدام مما يجبط دعوته » برضه احنا المحقوقين ! الحاوى الطروب مازال يلعب ولكن حيله كلها أصبحت قديمة !

وقد حاولت مصر تطويق صدام حسين بالجامعة العربية ومواجهته بقرار جماعى من الدول العربية يطالبه بالانسحاب الفورى لقطع خط الرجعة على مؤامرات التدخل الأجنبى ومضاعفاته .. وكان هذا القرار يعطيه الغطاء الذى يحتاجه لستر انسحابه ولكن المفاجأة كانت فى مجلس الجامعة ، إذ رفضت

(١) هذه الملاحظة منا سجلها محرر الصنادى تايمر بعدنا بشهر !

تسع دول فيه التصويت على الانسحاب وأقرت فعلياً احتلال بلد عربى لبلد آخر عضو فى الجامعة ! وهذا الموقف من الدول المنشقة هو الذى حطم الحل العربى وأغرى صدام بالبقاء وادعاء أنه يحتل الكويت باسم الأمة العربية أو على الأقل بتأييد نصف العرب ! ورفض العراق بإصرار وبعنفهية أى حديث فى موضوع الانسحاب . كأن تمزيق صورة الجامعة العربية أمام العالم وهلهلة موقوفها ، هو الذى منع الحل العربى ، وقد نفذ العراق وأنصاره قبل الغزو خطة إلغاء الجامعة العربية أو على الأقل شلها تماماً ، والجامعة العربية هى المصنع الوحيد المهيأ والمصرح له بإنتاج الحل العربى ، ولذلك تعتمد الخطط العراقى تحطيمها ، وقص أجنحة مصر والدول التى يعرف أنها ستعارض غزوه ! ثم لما وقع الغزو تسارعت الضربات لمنع القرار العربى : استقالة أمين الجامعة ، ورفض نقل المقر واحتجاز الملفات والانتهاكات المالية ، إلى استقالة مندوبها فى واشنطن وظهوره كل يوم ثلاث مرات على التليفزيون الأمريكى معلناً انهيار الجامعة العربية وسقوط فعاليتها لكى يخفت أى صوت أوروبى يحاول نقل القضية للجامعة . كيف كان يمكن تشكيل جيش عربى يمثل إجماع الأمة العربية كلها أو أغليتها ، بينما تسع دول عربية لا تريد حتى إدانة الغزو .. فهل كانت ستقاتله ؟! لقد قتل الحل العربى عمداً عندما رفض صدام أن يحل قضية مالية نفطية بواسطة الجامعة وفضل

في خطابه أمام البرلمان قال الرئيس مبارك : « كنا نخذ أن يتم التوصل إلى حل للمشاكل المتصلة بالغزو العراقي في إطار عربى . غير أن هذا الأمل تبدد بسبب غموض الموقف العراقي القائل أن ضم الكويت للعراق هو إجراء نهائى لا رجعة فيه ولا تنازل عنه ولا تفاوض بشأنه وهو ما قطع الطريق على جهود الوساطة العربية وجعل السعى لحل عربى أو إسلامى أو غيره أمراً غير ذى موضوع . وكان هذا هو موقف العراق النهائى الذى أبلغ إلينا وإلى الأقطار العربية الأخرى رسمياً بواسطة وفود عراقية عالية المستوى آخرها الوفد الذى مثل العراق في مؤتمر القمة العربى الطارىء ، وكرر الوفد العراقى لى العبارات القاطعة وهى أن العراق ليس مستعداً لأى مراجعة في هذا الاجراء وكان الكلام واضحاً وقاطعاً . وجاء هذا الموقف مخيباً لآمالنا ومناقضاً للرجاء الذى بعثت به لصدام . وزاد الطين بلة أن العراق صعد تهديده للأقطار الخليجية ، وفي نفس اليوم الذى انعقد فيه المؤتمر ، بشن هجوم إعلامى فظيع محموم على المملكة السعودية على نحو مماثل ما اتبع مع الكويت تماماً بلهجة يمتزج فيها التشهير بالتهديد . ولم يكن من الممكن والحالة هذه أن تنفادى سير الأمور على النحو الذى سارت فيه .. ولم نسلم إلى الآن أن العراق لم يمنعه من الانسحاب سوى الإدانة العربية » . وقال

الرئيس : «إننا نتضرع لله أن يلهم القيادة العراقية الصواب »^(١).

ولما وجه الملك الحسن آخر دعوة لإنقاذ الحل العربى وإنقاذ العراق بالدعوة لمؤتمر قمة رفضها العراق فوراً بجليلة وباتهامات تناولت الملك ونواياه وارتباطاته المزعومة ووصف المؤتمر بأنه سيكون غطاء للهجوم على العراق^(٢).

من الذى منع الحل العربى وأبى إلا الحل الأمريكى لإفناء العراق كقوة عربية ؟!

وتصدت مصر لحملة التهويل في قوة العراق والتي كانت تهدف من ناحية للتغريب بالعراق ومن ناحية أخرى لتبرير الضرب الوحشى الذى كان ميئباً ضده ، والذي نفذ بإفراط لا مبرر له ولا غطاء إلا أسطورة الجيش الرابع أو السادس في العالم (اختلفت الروايات !) وبينما كانت صحافة العالم كله بما فيها الصحافة المصرية التى مع والتي ضد تتحدث عن قوة صدام المهولة بدا صوت الرئيس مبارك نشازاً وهو يبدى دهشته من هذه المبالغة .. إذ قال : « إن وسائل الإعلام الغربية تبالغ في وصف التهديد العراقى ، وتظهر العراق على أنه دولة عظمى من الناحية العسكرية وأنا لا أصدق كلمة من ذلك » . (تصريح للفيجارو

(١) الأهرام ١٦/٢/٩٠ .

(٢) راديو بغداد ١٢/١١/٩٠ .

الإخلاص والصدق؟! ثم يأتي هيكلي يضع دم العراق على رأس
مصر أو رئيسها ..

كذبت واقتريت^(١) ..

(١) (الأخبار ٩٢/٤/٥).

الفرنسية) ثم تبين أنه وحده كان الصادق ..

قطع الإرسال التليفزيوني المصري يوم ٢١ أغسطس ليذيع
الرئيس مبارك نداء للرئيس العراقي ناشده فيه أن ينقذ الإنسان
والكيان في عالمنا العربي من حرب مدمرة تآكل الأخضر
واليابس . ولا يعلم إلا الله كيف تكون النهاية المفزعة إذا بدأت .
وقال إنه يناشد «الرئيس صدام حسين أن يتخذ القرار بانسحاب
القوات العراقية من أرض الكويت لكي تعود الأوضاع إلى ما
كانت عليه .. إنني أتوجه إليك بهذا النداء في هذه الساعات
الفاصلة الحاسمة الصعبة وكل ثقة أنك ستستجيب إليه» وفي يناير
وقد بدأ العد العكسي لإبادة العراق وجه الرئيس تحذيراً جديداً
من المواجهة الدامية التي هي غير متكافئة بكل المقاييس ..
وأخشى أن تقترب من جحيم لا يرحم ومن أيام رهيبة ، إن كل
ما يفعله العراق لن يمنع مصيراً تشيب فيه الرؤوس وتتقوض
الدائن وتنثر أشلاء الضحايا في بحور الدماء الفتاكة وأصبح
لنفسى أن أكرر وبأعلى الصوت أن الموقف أخطر مما يمكن أن
تتخيله أية توقعات^(١) .

إنني أسأل ضمير كل عربي هل حدث في التاريخ أن حذر
رئيس دولة يقف جيشها في مواجهة دولة أخرى يمثل هذا

(١) عن الشعب المصرية .

التاريخ البلاستيك عند هيكل !!

كانت الأخبار أول من كشف تشويه الأستاذ هيكل لموقف مصر في الطبعة الإنجليزية من كتابه عن حرب الخليج ، وهو الكتاب الذى لم تعلق عليه صحيفة واحدة في أوربا أو أمريكا .. وقد التقط الخيط أكثر من معلق في الصحافة المصرية . فلما صدرت الطبعة العربية لاحظت أن الأستاذ هيكل قد مارس فيها نفس الأسلوب الذى تعود عليه ، أعنى إعادة صياغة التاريخ ليناسب أذواق المستهلكين وليخدم تطوره وعلاقته ومواقفه ، وقبل سنوات عقدت مقارنة بين كتبه الثلاثة عن حرب ١٩٥٦ ثم بين النصوص التى أوردها في الطبعة الإنجليزية « قطع ذيل الأسد » ثم بدلها ونقحها في الطبعة العربية « ملفات السويس » وخصصت لذلك فصلاً كاملاً في كتابي « ثورة يوليو الأمريكية » بعنوان التاريخ البلاستيك وهيكل . ويبدو أنه عاد لهذه العادة الذميمة فكتابه الأخير يختلف في « حقائقه » بالإنجليزية عنه بالعربية ولا علاقة لذلك بالتاريخ أو الحقيقة بل هو أمر يتعلق بشرف المهنة وتعدد الأهداف ما بين إرضاء الملك حسين والتشهير بمصر في الخارج ، ومنافقة السلطة أو تجنب غضب الجماهير في الداخل . فجاء كما يقال يشتمنا في زفة ويصالحنا في عطفة . وسنقدم بعض النماذج على هذا التباين أو التزوير على سبيل المثال لا الحصر وسنرمز للطبعة العربية بالمصرية والإنجليزية

بالهامشية باعتبارها موجهة للملك حسين ..

يقول : « كان الرئيس مبارك يتصرف في الأزمة بحسابات عملية وواقعية .. كان حسابه في النهاية أنه إذا جاءت الحرب فإنه لأكثر من سبب لا ينبغي أن يجد نفسه في معسكر المنزمن فهو بذلك يتحمل تبعات لا دخل له فيها، وإذا كانت مسؤولياته تطالبه بعمل لتفادى وقوع كارثة فهو على استعداد للقيام به . لكن هناك حداً لا ينبغي تجاوزه . وقد أعطت هذه السياسة لمصر فرصة أداء دور ظاهر على ساحة الأزمة في مراحلها الأولى وبعد نهاية الأزمة فإن مصر أكدت مطالبها بإسقاط ديونها العسكرية .. » ص ٤١ المصرية .

سلم بقلك يا محمد .. عمر الضفر ما يطلع من اللحم ! خير مصر الذى فزت منه بحصة قطع ذئاب بأكمله تمر فيك . ها هو رئيس مصر يتصرف بحسابات عملية وواقعية ، وهو لا يريد أن يكون في معسكر المنزمن لأنه لا يجوز أن يتحمل أخطاء الآخرين . وهو مستعد لأي عمل يمنع الأزمة .. ومصر هى التى أكدت مطالبها بإسقاط الديون وذلك بعد نهاية الأزمة أو على الأقل كحق من حقوقها .. إلخ .

لكن يا خسارة ..

العرض مختلف تماماً في الطبعة الإنجليزية فالرئيس ذو

الحسابات الواقعية والعملية في تصرفاته نجده هناك لا يتمتع بهذه الصفات بل يدعيها أى والله يقول هيكمل : « الرئيس مبارك بتاع مصر (Of Egypt) يحب دائماً أن يصف نفسه كواقعى . وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج » .. ص ٢٢ « وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر ممن ديونها ساعد مبارك على إقناع جماهيره أن تورط مصر له ما يقابله » . ص ٢٢ من النسخة الهاشمية .

وهكذا تحولت الديون إلى رشوة اشترت بها الحكومة تأييد الشعب ! كما حذفت الفقرة الخاصة بالجهود لتفادى الأزمة لأنها تتناقض طبعاً مع محاولته إثبات أن مصر هى سبب الأزمة وهى التى أفسدت جهود الملك حسين .

في النسخة المصرية : في الأيام القليلة السابقة على الغزو « كانت هناك اختلافات في الرؤى والتصورات بين ست عواصم .. وربما كان الرئيس مبارك واحداً من الذين يرون أن للعراق في موضوع الحدود وجهة نظر لا بد من سماعها ونفس الشيء عن بتروال الرميلة كما أنه كان يرى أن انخفاض أسعار البترول يؤثر على مصر لكن الرئيس المصرى كان يختلف مع أسلوب الرئيس العراقى ولعله أيضاً لم يكن يشعر بالراحة مع شخصية صدام حسين .. وطموحاته لدور يراه الرئيس مبارك على حساب مصر » ص ٣٣٤ .

كل هذا اختصره في الطبعة الهاشمية بجملة واحدة : « واستمر الرئيس مبارك يعتقد أو يفكر أن صدام يحاول فقط تهويش الكويت » ووصف ذلك بأنه تقدير خاطئ من القاهرة في تحليلها للأزمة قبل انفجارها ص ١٨٣ .

في طبعة المصريين كان الرئيس مبارك فور وقوع الأزمة يقرأ تقرير موقف أعداء مستشاروه والأجهزة « وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير ، ومنطقياً ومعقولاً » ص ٣٧٥ . وهى شهادة نعتز بها رغم صدورهما ممن وضع تقدير موقف لحزبى ٥٦ و ٦٧ .. ومع ذلك ماذا قال في الطبعة الإنجليزية ؟ بالطبع مدح التقرير ولكنه أضاف الآتى بالحرف : « ولكن لم ينفذ إلا أجزاء من هذا التقرير » ص ٢٠٢ . واضح المقصود : المستشارون لم يقصروا .. إنما اقتراحاتهم لم تنفذ ؟! ..

في طبعة الخارج يشنع هيكمل على الصحافة والصحفيين المصريين ويتهمم بالضعف في حديثهم مع الرئيس وهو الذى تربع على عرش الصحافة المصرية ١٧ عاماً، ومع ذلك لم يجزؤ على طلب إجراء حديث مع عبد الناصر منذ أن انفرد الأخير بالسلطة . وهو الرئيس الذى كان يتحدث لأى صحفى لبنانى ولو كان يعمل في جريدة عكاكز الجنة (اسم صحيفة كان مندوبها يعيش في مصر على نفقة الدولة !) هيكمل يشكك في رواية

الرئيس مبارك من ضغط الصحفيين المصريين فيقول : « وكدليل آخر على أن البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين للرئيس مبارك يقول الملك إن الرئيس اعتذر بأنه كان تحت ضغط .

فسأل الملك : ضغط من من ؟

فقال الرئيس : من الصحفيين المصريين ؟ .

وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعرف عنهم الضغط في سؤا لهم لرئيسهم .. كان مبارك مازال مأخوذاً **Overwhelmed** بتطورات الأزمة وقال : أنا عطفى مققول .

فقال الملك حسين : إذن عندما تصل لقرار اتصل بى .

ويكمل هيكمل : لقد تقابل الزعيمان واحد وخمسين مرة ولكن مع أول أزمة تبين أنهما لا يفهمان بعضهما .. ص ٢٠٩ إنجليزى .

فى النص العربى ، ومن باب التجميل حذف الفقرة الخاصة بليونى الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم ! لأن الهدف هو

(١) وهذه الطريقة فى إثبات الحوار كأنه شاهد ويسمع ! انتقدناها منذ سنوات وانتقدها أخيراً محرر الصنداي تايمس الذى وصفها بأنها مسلية ويكتبها هيكمل بلا مراجع ولا أسانيد وإنما اعتماداً على أنه لابد أن يكون الأمر كذلك !

الشهير بالصحفيين فى الخارج وليس ندهم فى الداخل . وفى الطبعة العربية ورد تحريفان إذ يبدو أن عداد الأستاذ هيكمل مثل عداد التاكسى يعمل فى الانتظار ففى الفترة بين الطبعتين زادت مقابلات الزعيمين فأصبحت اثنتين وخمسين مرة ! مش مهم العدد فى الليمون . التحريف الثانى أن هذا التعليق حول مقابلاتهما وخلافتهما نال ترقية فى طبعة العرب فأصبح تعليقاً من هيكمل قاله للملك مباشرة ! إذ ورد هكذا : « قلت للملك : من الغريب أنك أنت والرئيس مبارك تقابلان اثنتين وخمسين مرة .. وعند أول أزمة بينكما .. الخ » ص ٣٩٤ . هيكمل الذى لم يجزؤ على ادعاء أنه قال ذلك للملك فى طبعة الانجليز ، تبجح مع المصريين وجعلها كعادته : قلت له وقال لى ولو على استحياء فقد وضعها فى الهامش على سبيل التجربة فإن لم يعترض أحد فسترفع فى الطبعة القادمة إلى المتن .. وهو بلاشك كاذب فى إحدى الروايتين^(١) .

واضطر هيكمل للرد فكانت هذه المقالات الثلاث :

(١) الأخبار ٢٨ ابريل ٩٢ .

تحرّكت تحته القوات الأمريكية للنزول في الخليج وضرب العراق .. وقد استشهدنا بنص العبارات التي وردت في النسخة الإنجليزية تحت عنوان : «البحث عن غطاء وهو العنوان الذي تأدّب في النسخة العربية فأصبح «القطار الأمريكي يتحرك» !

وفي الطبعة الإنجليزية مصر والجامعة العربية غطاء للأمريكان واتهمنا المذكور بنشر الكتاب باللغة العربية بعد أن أدخل عليه تعديلات تجعله مضللاً للقارئ العربي فبينما يدور الكتاب الأول على تشويه موقف مصر واتهامها حكومة وصحافة ، إذا به في العربية يحذف معظم انتقاداته ويبدل العبارات لارضاء السلطة والجمهور في مصر . وقلنا إنه بذلك لا احتفظ بشرف المواطن ولا شرف المهنة . وقدمنا ثبناً بما يقرب من عشرين موضعاً بالنص والصفحة أجرى فيها المؤلف تعديلاً في العبارات بما يخدم هذا الهدف وهو مجاملة السلطة بالعربية والتشهير بها بالإنجليزية .

وكان المفروض إما أن يراجع القعيد — الذي تصدى للفحص عن أمر دمنة — ما ذكرناه فثبت تجنينا وبالتالي يرفض الدعوى من أساسها وينشر حشيات ذلك على قرائه ، أو أن يجدها صحيحة فيحملها إلى المؤلف يطالبه بتفسير ، ولكنه اكفى بثناء على المتهم وإعلان أن كتابه هو عصا موسى وتهرب بغير براعة ولا أمانة من أن يعرفنا أى نسخة قرأ ؟! مع أن الخلاف بين النسختين

الأعمى .. والمقعد^(١)

إن كنت صادقاً في اعترافك فأوقف تداول كتابك :

اعتذر للقراء إذ يأتي ردى على حلقات ، لا لكسب مادي فكتاباتنا صدقة جارية ، ولكن لكي نرد كل ما قاله هيكمل عنا ، وهو ما سنفعله بالتأكيد ، كان لابد أن نكتب على عدة مرات إذ لا يمكن أن تتاح لنا مرة واحدة المساحة التي أهدرت بإفراط للأستاذ هيكمل ، كما اعتذر عن العنوان . فلم يخطر على بالي غيره للحديث عن الجريمة التي ارتكبت على مدى ٨ صفحات في مجلة المصور ، والتي يتحمل مسئوليتها السائل والمسئول . إذ كان المفروض أن المحرر قد انتدب نفسه للتحقيق في القضية التي أثرتها هنا في الأخبار وهي قيام الأستاذ هيكمل بإصدار كتاب باللغة الإنجليزية عن أزمة الخليج الخاز فيه لوجهة نظر الملك حسين وأساء عرض موقف الحكومة المصرية ، سفحلتها مسئولية فشل الحل العربي استجابة لمكالمة أو أمر من بوش فقدمت الغطاء الذي

(١) وللمتخصصين في دراسة خصائص اللغات نشر إلى التغير في أسماء الفصول من الإنجليزية للعربية : «فرصة ضاعت» أصبحت «ضباب حول القمة» ، «خنجر من في ظهر من» تحولت إلى «دبلوماسية الإشارات» .

هو إحدى القضيتين .. بل اكتفى بقوله إنه قرأ « الكتاب » خير الكتب ! من هنا نحن نرده ونتهمه بخيانة الأمانة بل العجز حتى عن فهم موضوع القضية ، ذلك أنه مدح الأستاذ وسمح بإهدار الصفحات في استطلاع حكمته السياسية . وما من أحد يصنف هيكل مفكراً سياسياً ، كل قيمته أنه وغيره يتاجرون في أوراق عبد الناصر بموجب مفهوم العزبة الذي جعل أوراق مصر في خزينة هيكل وقد عرفنا مدى أمانته ، ولا نعرف كيف تقبل دولة أن يوضع تاريخها ووثائقها في عهدة صحفي له خصوصاته ومواقفه وضبطناه يحرف الوقائع من طبعة إلى طبعة لنفس الكتاب ! ولسنا نتجنى على الأستاذ عندما نقول إنه عاطل من موهبة التفكير السياسي وإليك الدليل من اعترافه ..

فمحور كتابه ومحور الخلاف بيننا وبينه وكل الذين تظاهروا بتأييد العراق هو إمكانية الحل العربى .. هل كان من الممكن بعد احتلال الكويت ورفض صدام الانسحاب الفورى ، طرح حل عربى يسوى الخلاف ويمنع الأمريكان من تنفيذ مخططهم ؟ هو والمملكـحسين ومن لف لفهما قالوا لا للانسحاب ودعوا للحل العربى وقالوا إنه كان ممكناً . وإن مصر تزعمت نصف الجامعة لوأد هذا الحل الذى كان ممكناً وأضاعوه .. وقد عرض ذلك في الطبعة الإنجليزية تحت عنوان : « الفرصة الضائعة » وهو العنوان الذى تحول في الطبعة العربية

المطلقة إلى « ساعات فاصلة » ! في الطبعة الإنجليزية بعد أن استعرض موقف الوفد المصرى في مؤتمر القمة قال متحسراً : « وهكذا في أقل من ساعتين صنع أعمق انقسام عرفه العالم العربى وضاع آخر أمل في حل عربى » ص ٢٣٤ . (وهذا التعليق حذف في الطبعة العربية) وكانت وجهة نظرنا أن الدعوة للحل العربى غير الممكن لم تكن تهدف إلا لإضاعة الوقت حتى تكمل أمريكا استعدادها وتعصف بالعراق والمنطقة .

وبعد عامين يأتى الأستاذ هيكل فيعلن اعترافاً خطيراً : « أخطأت طوال الوقت الذى كنت أقول فيه أن هناك حلاً عربياً » المصور ٩٢/٥/٨ كيف تقبل إذن أن يبقى كتابك في السوق يحمل هذا الاتهام بإفشال أو إضاعة آخر أمل في الحل العربى وتسمح بترجمته لليابانية والكورية والسنسكريتية ، بعد أن اكتشفت أنك كنت مخطئاً طوال الوقت !

هل هناك اعتراف أقبح من هذا بالجهل والعجز من كاتب سياسى ، يعترف أنه تبنى موقفاً كاملاً من حرب مصيرية وألف كتاباً بعدة لغات تنشره أكبر دار نشر في العالم^(١) — بزعمه — بناء على تصور خاطئ، وجهل بالوضع ؟ ثم يأتى مطبائى فيستفتيه في حل مشاكل النظام العالمى . وهو الذى يعترف أنه عجز عن

(١) سألنا دار Harper Collins فنفث أن تكون أكبر دار نشر في العالم !

أن يرى أو يفهم الواقع العربي وفي أخطر أزماته فضلل قراءه ..
يأتى الصحفي فيقول إن هذا الكتاب الخطأ هو عصا موسى الذى
لقت ما كتبناه !! أنت بحاجة لعصا خيزران تعلمك القراءة .
لا أحد يطالب هيكى باكتشاف الصواب فهذا فوق طاقته
وقدراته مع أن الصواب كان مطروحاً ومتاحاً له لو صدق النية
فى التعلم . ولكنه مطالب مادام عرف الخطأ ولو متأخراً ألا
يستمر فى مدح الملك حسين الذى ، تمكيناً لمخطط الأمريكان ،
أضاع الوقت فى ادعاء : « أن أول المبادئ هو اعطاء الوسيط
العربى الفرصة ليجرى الحوار مع الطرفين المتنازعين ويمهد لهما
سبيل الجلوس معاً .. الخ » (ارجع لنقدنا بتاريخ ١٣ ديسمبر
١٩٩٠) وقد عارضنا هذه المناورات فى كل ما كتبنا وأستشهد
هنا بنصين فى أول الأزمة وآخرها ففى مقالى بجريدة الوفد فى
أكتوبر ١٩٩٠ سخرت من الذين يتعلقون بوهم الحل العربى
وقلت بالحرف : « وهيكى مثل كل الذين يتعمدون عرقلة حل
المشكلة وإطالة الأزمة لزيادة فرصة التدخل الأجنبى كلهم
يتغنون بالحل العربى فهو الأنظف » والأكثر ملائمة للنفسية
العربية « وكأنه اكتشف البارود أو كأن الإنسان العربى فى محتته
هذه يقف فى سوبر ماركت الحلول فيصرف عن الحل العربى
ويفضل الحل المستورد » هذا ما كتبناه قبل عامين ثم عدنا إلى
شرحه وتفصيله فى كتابنا « الجنازة حارة » الذى صدر قبل كتاب

هيكى بستة شهور فقلنا أن الحل العربى أو الوساطة ، كان ممتعاً
لأن الذين خططوا للكارثة ضمنوا مقدماً استحالة ذلك ، قلنا
بالحرف : « وقد حاولت مصر تطويق صدام حسين بالجامعة
العربية ومواجهته بقرار جماعى من الدول العربية يطالبه
بالانسحاب الفورى لقطع خط الرجعة على مؤامرات التدخل
الأجنبى ومضاعفاته .. ولكن المفاجأة كانت فى مجلس الجامعة ،
إذ رفضت تسع دول فيه التصويت على الانسحاب وأقرت فعلياً
احتلال بلد عربى لبلد آخر عضو فى الجامعة بل وتربطه علاقات
طبية بكل الدول التسع ! .. إن منع الحل العربى وفرض الحل
الدولى (الأمريكى) كان يتطلب تمزيق صورة الجامعة العربية أمام
العالم وهلهلة موقفها ، ابتداء من استقالة أمينها العام ورفض نقل
المقر واحتجاز الملفات والاتهامات المالية ، إلى استقالة مندوبها فى
واشنطن وظهوره كل يوم ثلاث مرات على التليفزيون الأمريكى
معلنًا انهيار الجامعة العربية وسقوط فعاليتها لكى يخفت أى صوت
أوروبى يحاول نقل القضية للجامعة » . حريفاً من كتابنا
ص ٣٩٢ .

ونحن لا ندعى العبقريّة ولا امتلاك ما لا يتاح لأحد من
الوثائق بل إنه الضمير النقى الذى يفهم الواقع كما هو ، دون
ارتباط مسبق يعمى الرؤية ، وقديماً قالوا آفة رأى الهوى . وقد
فهمنا الملعب فور بيان بوش وقلنا أن الأمريكان يصممون على

الأعمى .. والمقعد تهرباً من الرد على اتهاماتنا !

رأينا كيف اعترف هيكल بأن موقفه وكل ما كتب عن حرب الخليج كان مبنياً على خطأ، فقد عرف أخيراً ما ظللنا نرده ما يقرب من عامين فقال : « أخطأت طوال الوقت الذي كنت أقول فيه أن هناك حلاً عربياً » المصور ٩٢/٥/٨ وطالبناه بأن يكون أميناً مع جمهوره فيسحب الكتاب الخطأ ، ولكنه لم يفعل ولن يفعل . وكنا قد قدمنا في نقدنا لكتاب هيكل ما يقرب من عشرين تزويراً أو تحويراً بين الطبعيتين العربية والإنجليزية وقفز هو والحقق معه فوقها فلم يتعرضوا لها بحرف ولو كان فيها شك لأقاما مناخاً كما فعلا في واحدة ظن الأستاذ أنه يمكنه تزوير حقائقها وسنقدم فيها ما يجزيه .. واليوم نستعرض بعض ما عجز عن مجرد التعليق عليه على سبيل المثال وليس الحصر ومع الاختصار فلسنا نملك ٨ صفحات مثله !

الحرب وأن الموقف الشريف الوحيد لكل عربي لكي يمنع ذلك هو إجبار العراق على الانسحاب فوراً بدون قيد ولا شرط . وظل هيكل ومليكه يتحنجلان بادعاء البحث عن تسوية حتى حقاً أهداف أمريكا ! ثم يأتي بعد خراب مالطا فيعترف بأنه أخطأ !! إن كنت صادق التوبة .. اسحب كتابك من السوق فلا يجوز أن تغرر باليابانيين الغلاة !
ولدينا المزيد^(١) .

١ — في الطبعة العربية كان الرئيس مبارك يتصرف في الأزمة بحسابات عملية وواقعية .

في الطبعة الإنجليزية : « الرئيس مبارك بتاع مصر (Of Egypt) يحب دائماً أن يصف نفسه كواقعي . وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج » ..

هل هذا خلاف في الترجمة ؟ هل يوجد كمبيوتر يحول المسؤول من : يتصرف بواقعية وحسابات عملية فإذا ترجم للإنجليزية أصبح : هو يحب أن يصف نفسه بذلك ؟! ..

ترك سيادته والتلقى هذا التزوير ، فلم ينبس بحرف في تفسيره ، وهب يتشبث بتجربة الرئيس مبارك Of Egypt وراح يردد : ودى فيها حاجة دى . وزعم أنهم يقولون : كوين أليزابث أوف بريتين ! وهو غير صحيح فهم إما أن يقولوا ملكة بريطانيا أو الملكة أليزابث . وإنما Of هذه يقصد بها التعرف للتجهيل .

والدليل أنك ذكرت عبد الناصر في الكتاب ١٣ مرة لم تجد نفسك بحاجة إلى أن تقول Of Egypt أو بتاع مصر ولا أوف بنى مر . هل كان عبد الناصر في حرب الخليج أشهر من مبارك ؟!

وفي صفحة ٩١ تتحدث عن ثلاثة : صدام وحسين ومباركنا فنقول الآتى : « عندما فاتح الملك حسين صدام حسين .. ثم لما فاتح الرجلان مبارك أوف إيجيت بتاع مصر ! » هل رئيسنا فقط هو الذى يحتاج لفيش وتشبيه !

عيب يا محمد ما تلعبش مع الكبار ولا حتى معاي .. كاتب يلعب على باشكاتب ! على أية حال : ما قولك من هذا بضائره !

٢ — في العربية يصف تقدير الموقف الذى أعلته المستشارون للرئيس بأنه « وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير ، ومنظماً ومعقلاً » . ص ٣٧٥ .

ورغم أن الطبعة الإنجليزية أقل مائة ألف كلمة عن العربية فقد اتسعت لإضافة عبارة تقول : « ولكن لم ينفذ إلا أجزاء من هذا التقرير » ص ٢٠٢ .

لماذا جاءت حرية التصرف بما يسع في لندن ولا يغضب في القاهرة ..

لا سألوه ولا هو رد ..

٣ — ولكن إذا كانت الإضافة هنا للإساءة فهناك أيضاً الاختصار .. فى العربى كان خطاب الرئيس « خطاباً درامياً ومؤثراً » ص ٤١٦ .

وفى الطبعة الإنجليزية حذف « مؤثراً » لأنه أريد بها تأثير فى مصر فقط . ص ٢٢١ .
ومرة أخرى لا رد .

٤ — فى الإنجليزية عن اقتراح عرفات بإرسال وفد لصدام « وبدا هذا الاقتراح يكسب تأييداً ولكن الرئيس مبارك أخذ يبدى نفاد صبره من الفكرة » ص ٢٣٢ .

فى الطبعة العربى يقول : « ولكن هذا الاقتراح لم يلق حماساً تذكر أثناء المشاورات التى سبقت الجلسة الرسمية » ص ٤٣٥ .
هناك عند الأجانب كان اقتراح عرفات يكسب تأييداً لولا موقف ونفاد صبر مبارك !

وهنا للمصريين : سقط الاقتراح من قبل الوفود فلم يلقى حماساً تذكر بل يزيد بأن الرئيس مبارك تبنى الاقتراح فعلياً إذ راح يعرض على الرؤساء من يتولى الذهاب !! لقد علقنا على ذلك بقولنا : « لا يوجد امتحان أكبر من ذلك لشرف الكلمة وثقة القارىء » .

وقد أخطأنا فالامتحان الأبعث أن محاوره لا سألته فى هذه الفضيحة والتزوير فى الوقائع ولا صاحب عصا موسى وجد أنه مطالب بالرد على هذا ومضيا يتحاوران دون أن يطرف لأحدهما ضمير !!

٩٢

هل هذا من فعل الترجمة وخصائص اللغات ؟!

٥ — فى الإنجليزية انسحب الوفد العراقى بإحساس أن مبارك قد نصب لهم فخاً ص ٤٣٦ .

وفى العربى بنيت للمجهول : « اعتبر الوفد أنه وقع فى فخ قد نصب له » .

٦ — ونفس التزوير أو التجهيل فعله فى نقطة أخطر ففى الإنجليزية قال إن حامى العربى حبيبهِ الجديد الملك حسين (عزمك على الفرح ولا نسيك يا محمد ؟!) كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يثنيه عن ضرب العراق « عندما جاءت مكاملة تليفونية من مبارك لبوش بعد أن أنهى المكاملة قال لحسين ، هذا واحد من زملائك يحتشئ أن أستخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى » . ص ٢٥٢ .

ماذا حدث فى هذا النص فى الطبعة العربية ؟

ورد كالآتى : وقد روى الملك حسين فيما بعد أن الرئيس بوش تلقى أثناء لقائه معه مكاملة تليفونية وأن الرئيس الأمريكى قال له بعد انتهاء المكاملة : « هذا أحد زملائك يحتشئ على سرعة العمل بالقوة قبل أن تؤثر الدعاية العربية على الشارع العربى » . ص ٤٥٧ .

٩٣

نترك لغيرنا ملاحظة التعديلات في الصياغة (تحول الانفجار في لندن إلى دعاية في مصر ربما استجابة لقانون الطوارئ !)
وتتوقف عند أهم نقطة وهي أن اسم الرئيس لم يرد في العربى ،
مع أن الانجليز واليابانيين يعرفون هذا لو كان حقيقة ، والمصريون
أحق بالمعرفة ، وخاصة أن طبعتهم موسعة ولكنها ضاقت عن أهم
ما في القصة : من هو زميل الملك حسين الذى حث بوش على
الضرب ؟ يكون مضر بدران .. يكون إسحاق شامير ؟ ما هم
كلهم زملا يا محمد !

يتنطط ويقول أنا غير مطالب أن أضع في الطبعة العربية
ما قلته تحية للعزير بهاء !

آه يا نورى يا بتاع التلت ورقات .. هل عاتبتك على
بهاء ؟ أم على حذف اسم الرئيس مرتين ..
ولماذا ..

خوفاً من الرقابة أن تصدر الكتاب ؟ ذلك عهد قد غير ..
لا أعاده الله !!

خوفاً من الحبس والتحويل لمؤسسة باتا كما فعلتم بكتاب
مصر ؟ الحمد لله أنت تعرف جيداً أن مبارك لا يسجن كاتباً ولا
يأبه بما تكتب ولكنك تعلم أنك لو نشرت ذلك في مصر
لأحرقك الناس فوق كتابك ولذلك زورت وحرفت .

وترعّم أننا نريد الواقعة بينك وبين الرئيس .. من أنت
أصلحك الله ؟! حتى يوقع بينك وبين الرؤساء ولماذا وبأى
هدف .. ما الذى عندك نطمع فيه ؟! ما المنصب أو المكانة التى
تشغلها ونرجو أن يخلعك منها الرئيس .. تنافسك مع مناف على
رئاسة تحرير صحيفة داود الذى حبسته ! المولد خلص
يا محمد !

٧ — فى الانجليزية مبارك يستعجل الضرب قبل أن ينفجر
الشارع المعارض « وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر من ديونها
ساعد مبارك على إقناع جماهيره أن تورط مصر له ما يقابله » .
ص ٢٢ .

بينما فى الطبعة العربية تجده يضيف هامشاً يقول فيه : « كان
الرأى العام فى مصر هائجاً بالفعل ، وكان هناك إلحاح بضرورة
أن تظهر مصر موقفها باستنكار غزو الكويت بطريقة
واضحة » . ص ٣٩٤ . وقد خففت لأقصى حد فى الطبعة
الانجليزية : « والرأى العام المصرى ، على أية حال كان ضد الغزو
بوضوح » ٢٠٩ . الهيجان فى طبعة مصر علشان الحر !

٨ — ثم حكاية سب الصحفيين المصريين فيقول : « وكدليل
آخر على أن البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين
للرئيس مبارك يقول الملك أن الرئيس اعتذر بأنه كان تحت ضغط

فسأله الملك : ضفط من من ؟ فقال الرئيس : من الصحفيين المصريين . وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعترف عنهم الضفط في سؤالهم لرئيسهم .. إلخ » ٢٠٩ . انجليزى .

في النص العربى حذفت الفقرة الخاصة بليونى الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم !

ألم تكن هذه تستحق سؤالاً أو تفسيراً ؟!

٩ — فى نسخة الانجليز ورد أن « الملك حسين شخصياً حصل على نسخة من مشروع القرار وأيقن جلالته أن هذا النص لا يمكن أن يكون قد حرر فى الأصل بالعربية » ص ٢٢٨ .

وفى النسخة العربية كان الذى اكتشف ذلك هو « أحد كبار مستشارى الملك حسين » ص ٤٢٩ .

وقد سمعنا عن أجهزة نسخ تصغر الصورة لكن لم نسمع عن جهاز ترجمة يصغر الملك ويجعله مستشاراً ! هل هذا من نتائج ثورة الاتصالات والمواصلات ، أو هل من خصائص اللغات أن يكون ملكاً « بالعنجليزى » ومستشاراً باللغة العربية ؟!

ومرة أخرى لا سألوه ولا هو رد .

١٠ — فى النص العربى يرفض ويفند الزعم بأن مؤتمر القمة كان جزءاً من خطة لفتح الطريق أمام الولايات المتحدة . ص ٤٣٧ .

وفى الطبعة الانجليزية أورد المؤتمر وقراراته تحت عنوان : « البحث عن غطاء » للتحرك الأمريكى بالطبع وأن الموقف المصرى صدر بناء على طلب من بوش لمبارك وهذا نص عباراته : « ولكن بوش كان قد تلقى لمبارك ويدو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم » ص ٢١٠ .

وانتظر المزيد ^(١) .

(١) الأخبار ١٨/٥/٩٢ .

بالنسبة للملك حسين .. أثني على الرجل ونقل اتهاماته لحكومتنا ورئيسنا بدون تعليق بل كحقائق مسلم بها .

أما بالنسبة لحكومتنا .. فالأستاذ هيكمل يقدم صورة أخرى فهو يكرر أن الرئيس في الساعات الأولى للأزمة كان يقول : « أنا حاسس إن مخي مقفول » .

وأن صدام كان قد اقتنع بضرورة الانسحاب وكان المطلوب صيغة تغطي الانسحاب وهذا ما تكفل به الشهم حسين بن طلال فاتفق مع مبارك على أن يذهب لبغداد ويتنظر الرئيس مكاملة من الملك قبل اتخاذ أى موقف .. ولكن الملك يفاجأ وهو في عنفوان مساعيه الحميدة ببيان رسمي مصرى يدين الغزو العراقى وانزعج الملك من خرق الاتفاق .. الخ وتفسير التحول في موقف مصر .. يقول هيكمل :

« ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويدعو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم » ص ٢١٠ .

« أن السماح للبارجة إنزنهاور بعبور قناة السويس جعل العراق يرجع عن فكرة الانسحاب » ص ٢٢٤ . (عن مقالنا في الأخبار ٣/٣٠ باختصار) .

الأعمى .. والمقعد ماذا قال هيكمل وماذا زور عن عبور إنزنهاور ؟

أوضحنا كيف تأمر المؤلف والصحفى على تجنب كل ما عرضناه من أدلة تشويه موقف مصر بالخارج والدفاع عن الملك حسين كما غضا الطرف كأنهما من غير علي أكثر من عشرين موضعاً قام فيها هيكمل بتحريف الكلام وتغيير الوقائع لكى تقبل النسخة العربية في مصر ..

واليوم نصل إلى « حيلة الشب يارب » أو النص الذى ادعى أنه ضبطنا به ودبج فيه صفحة كاملة ، وقد ذهلت لا من بجاحته ، بل لأننى أصبحت أشك أن يكون هو فعلاً قد ألف الكتابين ..

في تلخيصنا للصورة التى طرح بها هيكمل دور مصر التخريبى في منع الحل السلمى ودفع العراق إلى وضع لا خيار فيه قلنا الآتى :

بدأ الأستاذ الحلولة بقوله : « والأعجب أنه حدد هذه الصفحة بأنها ٢٢٤ » .

وأنا رجل شكاك وهذا كاتب كبير ولو في السن ويتحدث لمن يزعم أنه قرأ الكتاب وأمن به ، فقلت لعلّي أخطأت في رقم الصفحة وهرعت للنص الذي ترجمه اقرأ رقم الصفحة يمين وتشمال فإذا بها مائتان وأربعة وعشرون أو في رواية أربعة وعشرون وازدادوا مائتين !

فقلت رجع لعوايده وادى أول تهويشة .. طب أدى الأعجب طلعت فنشك فماذا عن العجب !؟

ولأن الترجمة التي قدمها هيكل في المصور بها بعض التحريفات أو الأخطاء ففي الأصل الإنجليزي يقول : « إن القيادة العليا توصلت إلى أن هجوماً أمريكياً على الكويت محتوماً .. » ص ٢٢٤ . (برضه) فلما ترجمها أصبحت : القيادة العراقية للحزب (هو في قيادة روسية ؟ الجدد لحبط) وأصبحت النتيجة التي وصلت إليها هي « الأمريكان سوف يهاجمون العراقيين من الكويت » وليست الهجوم على الكويت .

وجدت ترجمته ملخصة خالص قلت وليه التعب .. الرجل سهل علينا الأمر وقال في نهاية الفقرة بالحرف : « إن هذا الكلام موجود في الطبعة العربية من الكتاب » ..

هرعت للطبعة العربية أقلها صفحة صفحة وأهزها يمكن يقع منها هذا الكلام فلم أجد وقبل أن أقسم أن هذا الكلام لم يرد في الطبعة العربية ، أعرض مكافأة ألف جنيه لمن يجد في العربية السطور المنشورة في عدد المصور العمود الثالث صفحة ٢٠ أو النص المختلف عليه من الطبعة الهاشمية ص ٢٢٤ (أعمل إيه الصفحة نمرتها كده إلا إذا كانت ٢٢٤ معدل) ولو أخبرني باسم صديقه لصورت له الكتاب كله يمكن يكسب الجائزة .

لم يبق أمامي إلا أن أعيد ترجمة النص وترجمتي أدق طبعاً ومستعد للتقاضى :

قال في صفحة ٢٢٤ (وحياتك لو كنت أقدر أغير النمرة لغيرتها لك) : « بعد أن أعلنت بغداد عن نيتها في الانسحاب ونشرت صوراً يفترض أنها تظهر مغادرة لواء ، شرعت في تشكيل « حكومة ثورية » (لاحظ الأقواس ومعناها إنه يعترض أو يلفت الانتباه أم نتصور أن العراقيين يسخرون من الحكومة التي شكلوها ؟) . أعلنت يوم ٨ أغسطس برأسها ضابط جيش هو الكولونيل علاء الذي سمي رئيساً للوزراء .. وقالت بغداد أن هذه الخطوات تظهر نيتها الجادة في الانسحاب الكامل ، ولكنها لم تستطع المضى وفقاً لما كان مخططاً بسبب ما تلا ذلك من حوادث » . (نقطة) ثم قال : « عندما سمع صدام حسين بقرار

القاهرة بالسماح للسفينة إيزنهاور بالعبور في قناة السويس دعا إلى اجتماع للقيادة العليا التي وصلت إلى نتيجة مؤداها أن هجوماً أمريكياً على الكويت بات محتوماً . (نقطة) العراقيون أحسوا أنهم لا يمكنهم أن ينسحبوا تاركين الحكومة التي شكلوها لتوهم في وضع غير محتمل ولذلك فإن عليهم أن يقولوا ويواجهوا الأمر بكان . وهذا التفكير كان إلى حد كبير خداعاً للنفس فلم يكن هناك أحد خارج العراق مستعداً لتصديق ذلك » ص ٢٢٤ .

فضلاً عن الخطأ في الترجمة الذي أشرنا إليه والذي يشكك في ادعائه تأليف الكتائب ، فقد حرص على أن يضيف لطبعة المصور ما يدعم دعوته فأضاف عبارة « ومازلت أعرض وجهة نظر العراق كما أعلنتها في ذلك الوقت » .

لم يفعل ذلك في الطبعة الإنجليزية ولا العربية كما سنرى وقد أحس متأخراً جداً أن التنصل لا يستقيم إلا إذا وضع هذا التنبيه . لأنه بدأ جملة جديدة تقول إن الرئيس صدام .. إلخ . وقد اضطر في المصور إلى إضافة « وأن » لكي ينسبها إلى ما قبلها فقال : « وأن الرئيس » .. ونفس الإضافة فعلها مع جملة : « أحس العراقيون » فجعلها في المصور : « ولقد أحس العراقيون » ولا يعقل أن يكون هذا على لسان العراقيين فهل يقول : وقال العراقيون لقد أحس العراقيون ! ما تحييش ..

هو هنا يعرض بأمانة وجهة نظر العراقيين ويعدد أسباب رفضهم الانسحاب ، ومنها سماح القاهرة بمرور السفينة الذي أقنعهم بنية أمريكا في الحرب فقرروا البقاء للدفاع عن الكويت وحكومتهم العملية أو الثورية في الكويت .

أين الخطأ ؟!

أين التزوير عليه ؟

أليس كتابه كله هو عرض الأزمة من وجهة نظر الجبهة العراقية .. لماذا لم يستنكر ما نقلناه عن لسانه عن أسباب كسر قلب الملك حسين ؟!

ودفاعه هو هذه الجملة التي يدعى أنها ترفض وتستنكر العرض العراقي للتطورات .. بأن قال إنه خداع للنفس وأن أحداً خارج العراق لم يكن يصدق ذلك .. ونحن نسأله : أين خداع النفس ؟ وما هو الذي تقصده بأن أحداً خارج العراق لم يصدقه ؟

إن السفينة مرت في القناة ؟
أم أن مرورها يعني نية أمريكا في الحرب ؟

هذه حقائق صدقها كل الذين خارج العراق أكثر مما صدقها العراقيون .. ولا يمكن أن يكون تعليقك على هذا الجزء ، وإنما خداع النفس بما لا يصدقه الناس الذي كنت تعنيه قبل أن

يجرّجك صديقك بسؤاله ، وكنت تظن أن أحداً لن يقرأ ولا جلال كشك سترجم لهم خداع النفس الذى قصده ، هو ادعاء العراقيين أن هناك حكومة كويتية ثورية وأن الهدف من الوجود العراقى هو الدفاع عنها . هذا هو ما قلته وما قصده وما قبلناه منك . فكيف تدعى الآن أنك تقصد عبور السفينة ؟

ولماذا الجدل وقد استنكرت العبور وعرضته أسوأ عرض وإلحساسك بالذنب بدلته وغيرته فى العربى كما سنرى :

فى الفقرة التى تعرضت فيها لتأثير العبور على العراقيين وحشيات فشل مؤتمر القمة قلت بالعربى الآتى :

« والحقيقة أن الوفد العراقى جاء إلى القاهرة بحمل شكوكاً كبيرة فقد كان سفر « تشينى » إلى جدة ومعه الجنرال شوارتزكوف كافياً لإضاءة أنوار الخطر الحمراء فى بغداد .. وعندما أعلن أن حاملة الطائرات النووية « دوايت إينزهاور » على وشك أن تعبر قناة السويس ، كان ذلك كافياً لجعل أجراس الإنذار تدق » ص ٤١٩ عربى .

هل هذا كلامك أم كلام العراق ؟!

وهو منسجم ومتطابق مع عرضك الذى قدمته للغرب .. أن مصر والسعودية بمسايرتهما الاجراءات العسكرية الأمريكية نسفا الحل العربى وسدا الطريق على العراق . هل يعقل أن تواتى

١٠٤

الجرأة من كتب هذا الكلام بالعربى ليقف مهلاً ويدعى أننا نسبنا إليه ما لم يقله عن أثر عبور السفينة فى العراق . إذا كان العبور دق أجراس الإنذار فى سمعك فماذا فعل بصدام ؟! هذا عرضك للحدث وتصورك .. وتعليقك فكيف تهرب منه الآن .. وبهذه البجاجة ؟!

وما دمت فتحت السيرة نسقيك أكثر ..

كتب هيكى فى الطبعة الإنجليزية يعرض ويشهر بقرار السماح بالعبور فقال فى صفحة ٢١٩ (حد يراجع رقم الصفحة) :

« فى طريق عودته إلى واشنطن وقف تشينى (وزير الدفاع الأمريكى - ج) فى الاسكندرية وعقدا اجتماعاً يوم ٧ أغسطس مع الرئيس مبارك وخلال مباحثاتهما وافق الرئيس المصرى على السماح لحاملة الطائرات الأمريكية إينزهاور بالمرور عبر قناة السويس . وكان ذلك تخلياً عن سياسة مصر بمنع المراكب التى تحمل أسلحة نووية أو مزودة بطاقة نووية من قناة السويس . وحتى ذلك الوقت كانت هذه السياسة تفرض بحزم رغم العلاقات الوثيقة بين القاهرة وواشنطن . وفى وقت متأخر من نفس اليوم وخلال مكالمة مع بوش وافق الرئيس مبارك على إرسال قوات للسعودية .. »

١٠٥

وأصبح قلب أبى عبد الله خاوياً — لا دى من عندنا — ما قاله هيكمل هو : « وسقط قلب الملك حسين (Ding Hussein.s) (Heart Sank) سمع بقرارات الملك فهد (قبول القوات ج) والرئيس مبارك (مرور السفينة وإرسال قوات ج) والملك الحسن (إرسال قوات مغربية ج) . شعر أن هناك اندفاعاً لخلق ظروف تعطى الشرعية للتدخل الأمريكى » ص ٢١٩ .
أليس هذا كلامك حرفياً ؟!

وإذا كان قلب الملك حسين وقع فمأذا حدث لصدام ولماذا لم ترد هنا أو تفند بل عقلت وأكدت أن مبارك تخلى عن سياسة مصر الثابتة ووافق على مرور السفينة النووية .. لخلق الشرعية للتدخل الأمريكى !

وهى مناسبة لنقدم دليلاً جديداً على تزويره الطبعة العربية فهذه الرواية عدلت في اللغة العربية فلم ترد بها طبعاً حكاية التخلي عن السياسة المصرية الثابتة الخ .. بل جاء أن السفير الأمريكى طلب من وزير الدفاع تشينى التوسط عند الرئيس لكى تمر وقال السفير الأمريكى : « إنه يعرف أن هذه مسألة حساسة عند المصريين لأنهم يمانعون عادة في مرور سفن نووية وأصدر الرئيس مبارك أمره بالموافقة » .

وقد استخدم الأستاذ كل خفة اليد والبراعة في تخفيف قرار

العبور فجاء بتخفة خالدة في أدب الإنشاء في مخاطبة الملك والرؤساء ! ففى نسخة الملك حسين كان ذلك تخلياً عن سياسة مصر بمنع Banning .. وحتى ذلك الوقت كانت هذه السياسة تفرض بحزم Firmly Enforced .. فإذا بها تتحول : « المصريون يمانعون عادة » ..

عادة هذه تساوى نصف مرتب الملك حسين من الخبرات الأمريكية لأنها لا تجعلها سياسة ثابتة التزم بها بحزم ومن ثم فهذه الموافقة تشكل خروجاً عنها بل هم عادة ! والعادة كما هو معروف قد تنقطع ولذلك يدعو الناس : ربنا ما يقطع لك عادة ! ولكن الدنيا كلها لا تساوى حرف الألف الذى أضيف إلى يمانعون فأصبحت يمانعون .. يتمنعن وهن الراغبات « يمانعون عادة » .. يا مُلعب ؟! الأستاذ يعرض أعلى مواهبه ولكن لا أحد يريد استخدامها ..

وقضية الموافقة في نفس اليوم وخلال مكالمة تليفونية من بوش جرى تنقيحها فأضيف إليها بالعربية أن الرئيس رفض ذلك عندما طلبه تشينى « وإنما وافق الرئيس مبارك على ذلك عندما اتصل به كل من الرئيس جورج بوش والملك فهد » ص ٤١٣ .
أى ليس أمراً من بوش الأمريكانى بل وبطلب من أخ عزيز وملك عربى ومعاهدة أمن مشترك الخ الخ .. أعوذ بالله من المتقولين بالإنجليزية .. ولم يود في العربية هل سقط قلب الملك

حسين أو طار ..
أهذا تاريخ ؟

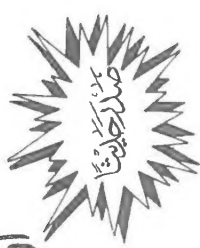
أهذا كاتب سياسي أم بهلوان وموظف درجة ثالثة في وزارة
علام بلد متخلف يعتمد على أن الأساتذة لا يقرعون بالعربي ولا
بالإنجليزي !

اسحب الكتاين ووارهما التراب كما نصيح أبو الأسود ابن
أخيه إن كنت تعرفهما^(١) .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	كلمة
١١	عن الملك حسين
١٩	بعض ملاحظات على حديث الملك الشريف حسين
٤٦	عودة الحاوى الطروب
٦٠	مالن ينشر في مصر من كتاب هيكل
	من الذى منع الحل العربى وأبى إلا الحل الأمريكى
٧٣	لإفناء العراق كقوة عربية
٧٦	التاريخ البلاستيك عند هيكل
٨٩	الأعمى والمقعد ! تهرباً من الرد على اتهاماتنا
	الأعمى والمقعد ! ماذا قال هيكل وماذا زور عن
٩٨	عبور «إيزنهاور»
١٠٩	الفهرس

أول كتاب يفضح دور العلمانيين في الفتنة



العناصر المعادية للإسلام لا ترى في الفتنة وحديثها إلا مجرد سلاح تنهش به الإسلاميين والإسلام ذاته .. هذه العناصر تتغنى لو ذبح كل يوم ألف مسيحي لكي يكون ذلك حجة لها في دعواها ضد الإسلاميين والمسلمين .. فإن لم تقع مذابح طائفية ، سارعوا بنسبة كل حادث يتعرض له مسيحي ، حتى ولو كان زلزالا ، لنشاط المسلمين ؟ ومن ثم فهذه العناصر لا ترغب حقا في حل مشكلة الفتنة ولا يهتمها تحرى الحقيقة ولا الطرح الصحيح للمشكلة . وهم لا يسعهم أن يتحلوا بالموضوعية فهم في حرب صليبية ، لا مكان فيها ولا حاجة للموضوعية ، ولا يرضيهم ولا يهتمهم إلا القضاء على الإسلام وتجريم دعاته . هذا الموقف ليس خاطئا فحسب ، ومن شأنه أن يشعر المسلمين وكأن الإعلام يعاديههم ، بل أخطر من ذلك أنه يخلق شعورا بالاضطهاد لدى الأقباط ، شعورا بأنهم معتدى عليهم .. ضحايا أبرياء مجرد وقود للفتنة رغم أنهم لا يخطئون .. وهو يخفي دور دعاة الفتنة من الجانب المسيحي ويمكنهم من مضاعفة نشاطهم التخريبي .



مجلد جلال كشك

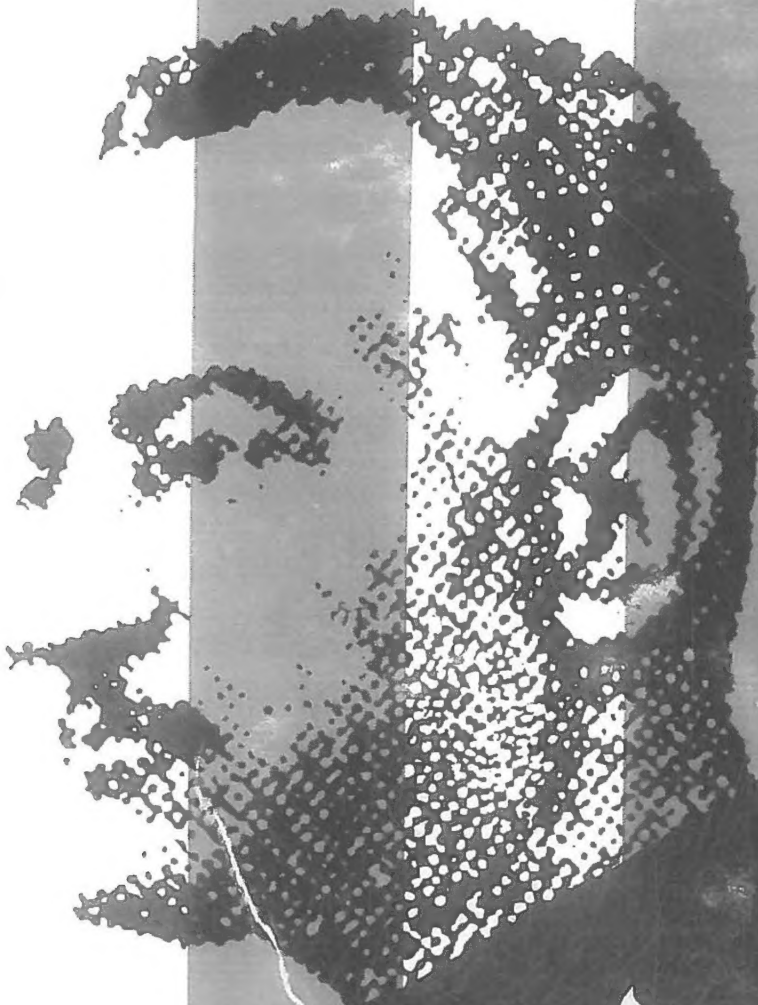
مائة مسلمين في البوينة والبركة

أحمد بن محمد بن الحسين



صدر حديثاً

محمد جلال كشك



أربعون
عاماً
من الهزيمة

ثورة يوليو الأمريكية

علاقة عبد الناصر بالخبرات الأمريكية

المكتبة الثقافية

١٠٦/١

٣٥